

صفحات محدودة من تاريخ تهامة والسراة الاجتماعي خلال القرن

(١٥ هـ / ٢٠ م) (*)

١. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس
(الطبعة الاولى) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) (الجزء
العشرون)، ص ص ٣٨٩-٤١٩.

ثانياً: صفحات محدودة من تاريخ تهامة والسراة الاجتماعي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م). بقلم أ.د. غيثان بن علي بن جريس .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	لمحات من تاريخ العمارة في عسير وجازان والباحة ونجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات القرن (١٥هـ/٢٠م)	٣٨٩
ثانياً:	من تاريخ الطعام، واللباس، والعلاج الشعبي في تهامة والسراة في القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م)	٣٩٦
ثالثاً:	بعض الألعاب والفنون الشعبية في جنوب البلاد السعودية	٤١٤

أولاً: لمحات من تاريخ العمارة في عسير وجازان والباحة ونجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات القرن (١٥هـ/٢٠م).

من خلال سيرتي في مناكب تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الماضية، وإصدار عدد من الكتب والبحوث التاريخية والحضارية لهذه البلاد السعودية العربية، خرجت ببعض الأطر العامة لأنواع العمارة في بلاد عسير وجازان والباحة ونجران، واذكر صوراً منها في الفقرات الآتية:

فكرة البناء والعمران معروفة عند سكان السراوات وتهامة منذ آلاف السنين . والظروف البيئية تجعل الإنسان يتكيف مع أحوال بيئية . فالمناطق الساحلية والسهلية في مناطق الباحة، وعسير، وجازان تجعل السكان يعتمدون على الأشجار ومادة الخشب في بناء منازلهم . والعشة، والعريش، والصلب وغيرها من المساكن التي كانت معروفة وسائدة عند سكان هذه البلاد^(١) . ولا تخلو هذه الأجزاء من عمائر حجرية . كالمساجد وبعض منازل الأغنياء، والأعيان، وأصحاب المال . أما السواد الأعظم من أهل السواحل والسهول فمساكنهم من القش والأخشاب . وبلاد جازان أكثر استخداماً لهذه المواد في العمارة مقارنة بالسكان في سهول وسواحل منطقتي الباحة وعسير^(٢) .

والمرتفعات في الأجزاء التهامية، وبخاصة في المنحدرات الغربية من السراوات، فأغلب عمارتها من الحجارة والطين، وتتعدد أدوارها من (١-٥) طوابق . والمنازل في هذه الناحية تؤسس على أراضي محدودة في المساحة مقارنة بمنازل العرش والعريش

(١) للمزيد من التفصيلات عن العرش، والصلب، والعريش وغيرها انظر: غيثان بن جريس . عسير: دراسات تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)، ص٢٧ وما بعدها .

(٢) هذا الذي لاحظته أثناء تجوالي في عموم الأجزاء التهامية من القنفذة والمخوة إلى أبي عريش وأحد المسارحة وسامطة في بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

والصبول في السهول والساحل. فمساحة أراضيها كبيرة إلى حد ما. وأشكال العمارة في مرتفعات تهامة تتنوع من أسطوانية ومخروطية، إلى مستطيلة ومربعة. وكذلك أشكال العشة فمنها المربع، والمستطيل، والمخروطي^(١).

والعمارة في أعالي سروات الباحة وعسير ونجران وأجزائها الشرقية مختلفة تماماً عن بلاد تهامة. فالبلاد الممتدة من الباحة شمالاً إلى أبها جنوباً معظم عمارتها من الحجارة والطين وتتراوح طوابقها بين الطابق والطابقين لعامة الناس، وهناك منازل وقصور ربما وصل ارتفاعها إلى ستة طوابق، وغالباً تكون للشيوخ والوجهاء، وأصحاب الأموال. وهناك منازل واسعة في عمارتها ومرافقها وهي قليلة. وجميع أنواع العمارات الأخرى من الطين والحجارة، مثل: المدرجات الزراعية، والطرق، والأسواق، والآبار، والسدود وغيرها.

أما الأوطان الممتدة من أبها إلى نجران وتتلث في مختلفه، فالأجزاء الشرقية مثل خميس مشيط وما والاها شرقاً إلى طريب، والأمواه، وتثليث، وأجزاء من بلاد قحطان ونجران فمواد عمارتها من الطين، وقد يجتمع الطين والحجر في بعض المنازل والقصور، وغالباً يكون الحجر مع الطين في الجزء السفلي من البناء، أما الأجزاء العلوية فهي من الطين فقط. وتتراوح مساحة البناء في هذه الناحية بين الكبير والصغير، وارتفاعاتها تتراوح من الطابق والطابقين لمعظم الناس إلى خمسة وستة طوابق للأغنياء، والوجهاء، وعلية القوم. وفي هذه النواحي بعض العمائر المبنية من الحجارة والطين، وهي أقل إذا ما قورنت بالعمارة في البلاد الممتدة من أبها إلى الباحة والطائف^(٢).

عاش في الأجزاء الشرقية للسروات الممتدة من الطائف والباحة إلى أبها وخميس مشيط وبلاد قحطان ونجران الكثير من البدو ومنازلهم من الصوف، فهم الذين يصنعونها وينقلونها معهم أثناء ترحالهم. ولا تخلو هذه البلاد مثل بيشة وطريب وما جاورها من بيوت طينية، وأحياناً طينية وحجرية^(٣).

لا تخلو عموم بلاد نجران، وعسير، وجازان، والباحة، وأجزاء من محافظة الطائف من كهوف في بعض جبالها وهضابها، وتستخدم في الماضي للسكن من قبل أهل

(١) للمزيد من التفاصيل عن العمارة في تهامة وسفوح السروات الغربية، انظر ابن جريس، عسير، ص ٢٨ وما بعدها. كما انظر موسوعة المملكة العربية السعودية. (الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ) (منطقة عسير) ج ١٠، ص ٢٥٥-٢٦٤) ٠ (منطقة جازان ج ١١، ص ٢٩٣-٢٨١). (منطقة الباحة)، ج ١٦، ص ٢٤٧-٢٥٦.

(٢) السبب يعود لوفرة الحجارة في السروات من أبها إلى الطائف، وقلتها في نجران والأجزاء الشرقية من منطقة عسير. المصدر: معاصرة الباحث وتحواله في أنحاء بلاد تهامة والسراة خلال الأربعين سنة الماضية.

(٣) هذا ما شاهدته وعرفته في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأشارت إليه بعض الوثائق التاريخية، وكتب الرحالة والجغرافيين خلال القرنين (١٣هـ/١٩م) - (١٤هـ/٢٠م).

البوادي والأرياف . وفيها أيضاً الكثير من القلاع والحصون والقصور الموجودة أحياناً في الأودية وعلى رؤوس الجبال والمرتفعات، أو قريباً من المزارع، أو في بعض القرى^(١) . وهذه القصور والحصون مبنية بالحجارة والطين، أو بالطين، أو أساساتها بالحجارة والطين . ومنها الذي استخدم للحراسة أو التحصن فيها أثناء الحروب والصراعات القبلية^(٢) . وأخرى مستودعات للحبوب، أو سكناً لأصحابها . ومن تلك الحصون ما هو ملك خاص لأسرة أو أسر معينة، وأخرى تملكه العشيرة أو أهل القرية الواحدة، وربما اجتمعت قريتان أو ثلاث في ملكية حصن واحد يستخدم لخرن حبوب المزروعات^(٣) .

وأثناء تجوالي في عموم سروات وتهامة الطائف، والباحة، وعسير، وجازان، وبلاد نجران وقفت على الكثير من القصور والحصون المعروفة بأسماء أعلام أو أسر معينة . وعندما سألت أهل البلاد عن هذه التسميات قالوا أنها نسبة إلى من بناها، أو إلى أصحابها من البيوتات أو الأسر الكبيرة والمعروفة^(٤) . وحصون في الأودية والجبال تعرف هي الأخرى بأسماء أعلام جغرافية، وربما أخذت اسمها من أسماء المواضع التي تقع فيها . وكثير من هذه الحصون والقصور لها تاريخ سياسي وحضاري^(٥) . والواجب على إمارات المناطق والهيئة العامة للسياحة والأقسام العلمية في الجامعات أن تحافظ عليها فترمم ويوثق تاريخها بالكتابة والصور الفوتوغرافية .

(* وهناك الكثير من المعلومات، والاصطلاحات المعرفية واللغوية لمرافق

المساكن، وأدوات الأثاث أو المنزل، ونذكر بعضها في الصفحات الآتية :

١ . إذا كان البيت الحجري أو الطين في سروات عسير والباحة وبلاد نجران من دور أو دورين، فالغرف التي في الدور الأرضي تسمى (السفالي) ومفردها سفل وتخصص سكناً للمواشي، ولخزن أغراض بعض المهن كالزراعة والرعي وغيرها . والطابق الثاني، تعرف غرفه بالعلاوي، ومفردها (علو) ويستخدم للنوم، وجلوس أفراد الأسرة أو معيشتهم، وأحياناً يكون في الدور العلوي فتحة تربطه بالطابق السفلي،

(١) الذاهب في أرجاء مناطق جنوب المملكة العربية السعودية يشاهد مئات الحصون والقرى التراثية القديمة، وقد أصابها الخراب، وبعضها اندثر تماماً . وهذا التراث جزء من تاريخنا الحضاري الواجب صيانتة والحفاظ عليه .

(٢) الأحداث والصلوات القبلية قديماً موضوع كبير، لم يدرس حتى الآن، يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(٣) انظر: غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٤٢ وما بعدها .

(٤) وجدت الكثير من هذه الحصون والقصور في بعض قرى الباحة، وعسير، ونجران، ومرتفعات جازان . وكثير منها مازال حتى الآن ماثلاً للعيان، مع أن بعضها بدأت عليه ملامح الخراب .

(٥) بعض هذه الحصون مازالت قائمة في أجزاء عديدة من السروات وتهامة، وهي تعكس شيئاً من صفحات التاريخ الذي عاشه الآباء والأجداد .

وغالباً تستخدمها النساء أثناء حلب المواشي وإعلافها ورعايتها . وفي الطابق الثاني مكان لاستقبال الضيوف، وغرف خاصة لأهل المنزل، وربما كان هناك غرفة تخرج على سطح الدور الأرضي، أو الدور الأول، وجزء منها مكشوف ويطلق عليها (علية) أو (شنعة)، وتستخدم لأغراض عديدة، تحفظ فيها بعض الأغراض المهمة، ويستخدمها أهل المنزل أحياناً للاستراحة والاسترخاء^(١).

وتخزن الحبوب في بعض غرف الطابق الثاني، أو في الشنعة أو العلية . والأسرة التي سكنها من طابق واحد لا تتجاوز الغرفتين أو الثلاث تستخدم لخدمة أفراد الأسرة، وسكنوا للمواشي، ومخزناً للحبوب والأعلاف . أما الأسر التي بيوتها واسعة كالقصور، أو البيوت الواسعة والكبيرة، والمعروفة باسم (الساحة) أو (السيح) ففيها الكثير من الحجرات السفلية والعلوية، تستخدم لأغراض عديدة حسب رغبة سكان البيت، إلا أن الأدوار العلوية يسكنها البشر، ويستقبلون فيها ضيوفهم .

وحجم المنازل ومساحاتها في السروات أكبر من المنازل في المرتفعات التهامية، وليعضها مرافق مثل: زريبة، أو حظيرة المواشي، وربما كان هناك سقيفة أو أكثر ملجئة بالمنزل الرئيسي، وتسم أحياناً (الجهوة) أو (الجاهية) وتطلق أحياناً (الياهية) يسكنها بعض أفراد الأسرة، وربما استخدمت مخزناً للحبوب وبعض الأغراض . وربما كان المطبخ المعروف باسم (الموشى) في فناء المنزل، وغالباً لا يوجد فيه دواليب، أو صناديق لحفظ أغراض المطبخ (الموشى)، وإنما توضع على الأرض، أو في أركان غرفة المطبخ، ويعلق بعضها على الجدران . ومعظم المنازل لا يوجد فيها حمامات، وإن وجدت فهي قليلة جداً وفي بيوت الأغنياء والمقتدرين مادياً. وتحاط المنازل ومرافقها في عموم السروات وتهامية بسياج من أغصان الأشجار، أو ببعض الأسوار الحجرية في سروات الطائف و الباحة وعسير^(٢).

٢ . إذا كانت العشة هي المنزل الرئيسي لسكان السواحل والسهول التهامية وبخاصة في منطقة جازان، وبلاد الليث والقنفذة والبرك، وأجزاء من تهامة عسير^(٣). إلا أن هناك مرافق معمارية أخرى في عموم تلك البلاد، ومنها :

(أ) **الإخدروشة** : وهي أقل في المستوى والجودة من العشش . وقريبة في تشييدها وحجمها وشكلها من العشة . وهي منازل الفقراء ومحدودي الدخل . والأسر المقتدرة

(١) مشاهدات الباحث وحولاته في بلاد السروات من الباحة إلى أبها ونجران . خلال العقود الأربعة الماضية .

(٢) مشاهدات الباحث أثناء سيره في بلاد السروات وتهامة خلال العقود الماضية المتأخرة . للمزيد انظر، غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٤٢ وما بعدها .

(٣) للمزيد عن طريقة بناء العشة . انظر: غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٤٩-٥٢ .

التي تمتلك عششاً كبيرة وجيدة في مساحتها ومستواها ، قد يكون لهم خدارش أو خدروشات ، ومفردها (خدروشة) يستخدمونها لحفظ أمتعتهم ، أو مخازن لحبوبهم ، أو حظائر للمواشي ، أو مكاناً للاستراحة والقبولة في الصيف ، أو للأكل والمعيشة في بعض المناسبات الاجتماعية^(١) .

(ب) السهوة : تبنى من الأخشاب وأغصان الشجر ، وتعد من مرافق المنزل ، وهي مثل: السقيفة أو (الجهوة) أو (الجاهية) (الياهوية) في السروات ، وتستخدم لخدمات عديدة ، كالمستودع لحفظ بعض الأغراض ، وربما استخدمها الإنسان للراحة ، أو النوم ، أو الطبخ وغير ذلك .

ومعظم المنازل في السهول والساحل تحاط بسياح من الأشجار يسمى (السَّجف) ، وذلك لحماية العشة ومرافقها من الحيوانات المفترسة . أما المنازل في مرتفعات تهامة وعند سفوح السروات الغربية فمواد بنائها ومرافقها قريبة من عمارة السروات الممتدة من أبها إلى الباحة ، إلا أن مساحة البناء وحجمه في جبال تهامة أصغر من عمارة أهل السروات^(٢) .

كان أثاث المنازل وتزويقها في السروات وتهامة متواضعاً عند عموم الناس ، فهم يغطون جدران المنزل من الداخل بالطين المجلوب من بيئاتهم ، وأحياناً يكسون الجدران من الخارج بالحص ، ثم يدهنونها بالنورة أو اللون الأبيض . ومنازل تبقى عارية من التغطية لعدم قدرة أصحابها على ذلك وتواضع إمكاناتهم المادية . وهناك قصور أو سيح أو منازل كبيرة في أبها ، وخميس مشيط ، وبيشة ، والنماص ، ونجران ، والقنفذة ، والباحة ، والطائف ، وأبي عريش ، وصبيا ، وجازان وغيرها كانت مخدومة بشكل جيد في تزويقها وأثاثها ، وذلك لظروف أصحابها المادية الجيدة^(٣) . وقد دخلت منازل في بلاد السروات من الطائف إلى أبها ونجران في القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، ثم زرت بعض الأصدقاء في رجال ألمع ، ومحایل عسير ، والمجاردة ، والقنفذة ، والبرك ، وصبيا ، وأبي عريش ، وجازان في نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ / ٢٠م) ، وخرجت بعدد من الرؤى ، وأذكر أهمها في النقاط الآتية :

١ . كثير من البيوت التي دخلتها في السروات وتهامة من المنازل التراثية القديمة المبنية بالحجارة ، وتغطي جدرانها الداخلية بالطين المحلي ، وأحياناً مليسة بالإسمنت

(١) كل هذه المرافق المعمارية لم يعد لها وجود اليوم ، وجميع منازل العيش المبنية من الأشجار والقش انقرضت وحل محلها المنازل والأبنية الخرسانية في عموم منطقة جازان والبلاد التهامية الساحلية الممتدة من جازان إلى مكة .

(٢) حينذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس العمارة في السروات وتهامة دراسة مقارنة خلال القرنين (١٣-١٤هـ / ١٩-٢٠م) ، وهذا موضوع مهم وجديد في بابه .

(٣) زرت عدداً من المنازل والقصور في هذه النواحي خلال الأربعين سنة الماضية ، وشاهدت الكثير من الفنون المعمارية والأشكال الجميلة في بعض تلك المساكن التي صارت اليوم مهجورة ومهملة .

ورسم على بعضها خطوطاً ومربعات أو مثلثات مختلفة الأشكال والأحجام، وكل هذه النزويقات من إعداد أهل البلاد وبخاصة النساء^(١). وكثير من تلك المنازل التي شاهدها كانت الإضاءة فيها بالفانوس، أو الأتاريك، ولم تصلها الكهرباء بعد حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وبخاصة في بعض أرياف الطائف والباحة، وعسير، وجازان^(٢).

٢. بعض المنازل التي دخلتها استحدث فيها دورات مياه، وليست ضمن هياكلها الرئيسية، لكنها أضيفت إليها، فأصبحت من مرافقها. كما استحدثت خزانات أرضية للمياه، ولم تكن موجودة من قبل، وإنما تم تعميمها، وصارت من مرافق العمارات القديمة، وأصبح يجلب إليها المياه من الآبار عن طريق المضخات، أو (المواتير) المائية. وكثير من تلك المنازل أصبحت محاطة بأسوار من البلك الإسمنتي أو الطوب الأحمر ثم تليس بالإسمنت. وقليل من البيوت جرى تبديل سقفها بالإسمنت والحديد بدلا من الطين والأخشاب. واستبدلت بعض أبوابها الخشبية بالأبواب الحديدية. وصار ضمن مرافقها مستودعات وغرف وسياجات موادها من الحديد والزنك^(٣).

٢. كان أثاث المنازل قديماً محدوداً ومعظمه من الطين وسعف النخل، أو من الجلود، وهناك ملاحف وشراشف وبطانيات وعباءات محدودة تجلب من الأسواق الأسبوعية في السروات وتهامة وبخاصة أسواق جازان، والقنفذة، وبيشة. ويستورد التجار وبعض أفراد المجتمع القعائد والكراسي وبعض المفروشات من أسواق مكة والطائف. والنجارون والحدادون المحليون يصنعون بعض الكراسي وسرر النوم. ولا يملك هذا النوع من الأثاث إلا عليّة القوم أو من لديه المال. أما عامة الناس فأثاث منازلهم متواضع، كلما كان الإنسان في البادية أو في الأرياف النائية كان مستوى أثاث منزله بسيطاً جداً وأحياناً لا يوجد عنده أثاث.

(١) بدأ العمران الحديث يغزو هذه النواحي المذكورة أعلاه منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبدأت الأيدي العاملة الوافدة من اليمن وبعض الدول العربية تنفذ بعض الأعمال العمرانية. وقبل ذلك التاريخ كان أهل البلاد (رجالاً ونساءً) هم من يقوم على بناء منازلهم وتزويقيها وجلب مستلزماتها.

(٢) كانت الكهرباء متوفرة إلى حد ما في المدن والحواضر الكبيرة مثل: الطائف، وأبها، وخميس مشيط، وبيشة، ومدينة نجران، ومدينة جازان، أما البلدان الريفية والنائية فلم تصلها إلا في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٣) شاهدنا مراحل انتقالية في العمارة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبدأت مواد البناء الحديثة (الحديد والإسمنت، والبلك، والطوب، والجبس، والدهانات البلاستيكية) تغزو المنطقة، وأصبح الناس يدخلونها في عمارتهم تدريجياً، ولم يأت العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا ومواد العمارة التقليدية قد تراجعت وحل محلها العمارة المسلحة القائمة على المادة الخرسانية المكونة من الحديد والإسمنت والبطحاء والخرسانة.

ومنذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) أصبحت أوضاع الناس الاقتصادية تتحسن، وصاروا يتوسعون تدريجياً في تشييد منازلهم، ويجلبون لها بعض الأثاث من أسواق الحجاز أو الأسواق الأخرى في مدن المملكة العربية السعودية الكبيرة كالرياض، والدمام، والظهران وغيرها. وصار أبناء تهامة والسراة الذين التحقوا بالوظائف المختلفة في أنحاء البلاد يجلبون إلى قراهم ومنازلهم أنماطاً من التمدن والحضارة في بناء بيوتهم وتزويدها بأنواع من الأثاث والموديلات الحديثة^(١).

كانت أغلب الأسماء والأدوات المنزلية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، محلية وعربية فصيحة مثل: القرية، والرحى، والمطحنة، والشكوة، والقطف^(٢). والعكّة، والصحفة، والغضارة^(٣). والبرمة، والقده، والجونة^(٤). والدلة، والحكر^(٥)، والمبرد^(٦)، والمهراس، والمداهن^(٧)، والمطرح، والمزبلة، أو الزنبيل^(٨)، والمزادة^(٩)، والمهجان^(١٠)، والنطع^(١١)، والمحوقة، (المكنسة)، والدرجة^(١٢)، والمركب^(١٣)، والمغش^(١٤)، والجفرة^(١٥)، والحيسية^(١٦)،

- (١) دراسة التحولات والتغيرات الحضارية التي عاشها سكان المناطق الجنوبية السعودية منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر موضوع مهم يستحق الدراسة والتحليل والتوثيق .
- (٢) القطف : إناء مصنوع من الجلد، صغير الحجم، يحفظ فيه الهيل والبن .
- (٣) الغضارة : إناء من الفخار يستخدم لتقديم الماء أو المرق أو اللبن، وربما كان مصنوعاً من المعدن .
- (٤) الجونة : وعاء مصنوع من الطفي أوسعف النخل يستخدم لحفظ الخبز .
- (٥) الحكر أو الصحفة، أو المجمععة : إناء مصنوع من الخشب وله غطاء مصنوع من سعف النخل، يستخدم لحفظ الزبد .
- (٦) المبرد : مصنوع من الخشب ويستخدم لتبريد الماء .
- (٧) المداهن : مثل القده مصنوع من الخشب، ويوضع فيه المرق أو السمن عند تقديم الطعام .
- (٨) المزبلة أو الزنبيل : أوان مصنوعة من سعف النخل، والزنبيل أصغر من المزبلة، تستخدم لحفظ الأغراض في المنزل أو أثناء التسوق .
- (٩) المزاد أو المزودة : مصنوعة من الجلد تحفظ فيها بعض الأغراض أثناء السفر .
- (١٠) المهجان : مصنوع من سعف النخل يستخدم سفرة للطعام .
- (١١) النطع : مصنوع من الجلد يستخدم أيضاً سفرة للطعام .
- (١٢) الدرجة : طبق مصنوع من سعف النخل .
- (١٣) المركب : مصنوع من الحديد له ثلاث أرجل يوضع القدر عليه أثناء الطبخ، وهو أحجام بين الصغير والمتوسط والكبير .
- (١٤) المغش : إناء حجري مشهور بالأكلة التي تطهى فيه في بلاد جازان، ويطهى فيه اللحم والسمك .
- (١٥) الجفرة : إناء مصنوع من الفخار أو من الحجر تطهى فيه الهريسة الجازانية وأطعمة أخرى .
- (١٦) الحيسية : أداة مصنوعة من الفخار، شكلها مستدير تستخدم لأكلات الشريد والمفالييت، ومعظم استخدامها في جازان .

والمقلى^(١)، والمطبقية^(٢)، والمشهف^(٣)، والجبنة^(٤).

ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت أدوات المنازل وأثاثها القديم تتلاشى تدريجياً، وحل محلها أدوات مستوردة مصنوعة من البلاستيك، والمعدن، والنحاس، والزرجاج وغيرها. وجاء معها أيضاً أسماء حديثة مستوردة من لغات غربية وشرقية متعددة^(٥).

ثانياً: من تاريخ الطعام، واللباس، والعلاج الشعبي في تهامة والسراة في القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م)^(٦).

أولاً: الأطعمة والأشربة :

إن الحديث عن الأطعمة والأشربة يتوقف على الإمكانيات المادية، وعلى وفرة الأنواع المتعددة من الطعام والشراب. فلو أردنا الكتابة عن الأطعمة والأشربة الموجودة في يومنا الحاضر، لكتبنا في هذا الموضوع عدة مجلدات، لأنه ظهر الكثير من أنواع الطعام والشراب، التي منها المحلي والعالمي. والفترة التي نريد دراستها هي القرن (١٤هـ/٢٠م)، وخاصة عندما كان الناس في شح في مآكلهم، ومشربهم، فلم تكن أغلب أطعمتهم وأشربتهم إلا ما تنتج حقولهم الزراعية، أو ما يستخلصون من حيواناتهم التي يمتلكون، أو ما يتم صيده من الطبيعة التي يعيشون فيها، أو من البحر أو العيون التي يجاورون. ومع تلك الإمكانيات كان الناس في ضيق من عيشهم، فقد تقسد مزارعهم، أو تمرض حيواناتهم وتموت، أو يقل سقوط الأمطار عليهم فتجف الأرض، أو تعثرهم حروب أو أمراض فتفتك بهم. وبالتالي يجتاحهم القحط والجوع، ولا يوجد البديل الذي يقاتلون منه ليسلموا من الهلاك والموت^(٧).

(١) المقلى: إناء مصنوع من الحجر يستخدم لقلي بعض الأطعمة، وأحياناً تقدم فيه أكالات المرساة والمحشوش في جازان.

(٢) المطبقية: إناء معدني أسطواني الشكل يستخدم لحفظ السمن وربما أطعمة أخرى.

(٣) المشهف: وعاء مصنوع من الفخار يستخدم في جازان لحمس البن. وهو مثل المحماس المصنوع من الحديد في السراة.

(٤) الجبنة: الدلة المصنوعة من الفخار غير الدالة المصنوعة من المعدن.

(٥) حيناً أن نرى من طالباتنا أو طلابنا في برامج الدراسات العليا بأقسام التاريخ واللغة العربية وعلم الاجتماع من يدرس الاصطلاحات والمفردات اللغوية التي عرفها الآباء والأجداد ثم يقارنها مع المفردات والمصطلحات التي يستخدمها الناس اليوم في شتى الجوانب الحضارية.

(٦) سوف يكون معظم حديثي عن تاريخ الطعام والشراب، واللباس والزينة، والطب والتطبيب في بلاد السروات وتهامة (جازان، ونجران، وعسير، والباحة، والطائف) خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات القرن (١٥هـ/٢٠م) ولن أدخل في الحديث عن تاريخ هذه الجوانب في العصر الحديث المعاصر وبخاصة بعد أن تلاشت الكثير من أنماط الحياة القديمة وحل محلها أنماط جديدة في معيشة الناس ولباسهم وزينتهم وتداويهم.

(٧) ما نعيش فيه اليوم من خير ونعيم، نعمة من الله، فيجب الحفاظ عليها بالشكر وعدم الإسراف، ثم نتذكر حياة الآباء والأجداد. وما كان يعترها من جهد ومشقة ليسد الواحد منهم رمقه وجوع أفراد أسرته.

والأطعمة والأشربة التي كانت عند الأوائل تختلف من أسرة لأخرى، ومن منطقة لمنطقة، فالأغنياء ليسوا مثل الفقراء. والطبيعة ومصادرها ليست عند كل الناس سواء، فالعاملون في مهنة الرعي أغلب أطمعتهم وأشربتهم مما يمتلكون من حيوانات، والصيادون على سواحل البحر يكون طعامهم مما يجلبون من صيد البحر، أو يحصلون عليه من التجار في الموانئ البحرية، وأصحاب المزارع والبساتين يكون جل قوتهم مما تنتج حقولهم وبساتينهم، والحرفيون والتجار في القرى الكبيرة مما يتم شراؤه من الأسواق التي حولهم، وتتشابه وتختلف الأطعمة والأشربة عند هؤلاء كلهم، أو عند بعضهم من حيث النوعية، والمصطلحات التي يُسمى بها كل طعام أو شراب، وفي طريقة الإعداد والصنع، لهذا سنذكر أهم الأطعمة والأشربة التي كانت موجودة مع توضيح موادها وطريقة صنعها، ومكان انتشارها. وسنبدأ بالأطعمة أولاً، ثم نتبعها بالحديث عن الأشربة.

١- التصايع أو (المصبعة) :

قطع صغيرة كروية الشكل تصنع من عجينة البر، ثم تقذف قطعة بعد الأخرى في قدر به ماء يغلى حتى تنضج، وتقدم مع السمن والعسل، وأحياناً يخلط معها اللبن. وهذه الأكلة تعرف بهذا الاسم عند سكان قبائل الباحة وعسير الرئيسية. ونفس النوع عرف في منطقة جازان، وصيبا، وأبو عريش، وأحد المسارحة وما حولها، لكن باسم (المفاليت). وأحياناً يضاف السكر أو الحليب على مواد صنعها في تلك الأجزاء، كما عرف نفس النوع في بلاد الحجر (بلحمر، وبلسمر، وبنوشهر، وبنوعمر) وبلاد بلقرن وختعم وشمران وأطلق عليه اسم (القرد) بفتح القاف والراء. ولا يستبعد وجود نفس النوع في أماكن عديدة في عسير ونجران، بمصطلحات تختلف عما ذكرناه.

٢- الثريث :

هذه أكلة حلوة في مذاقها، يكثر استعمالها في الأجزاء التهامية، وخاصة في صيبا وأبي عريس، وبيش، وجازان. وغيرها. وتتكون من حب الذرة الخضراء، التي لم تجف بعد، فيتم طحنه ثم عجنه ووضع على هيئة أقراص تخبز في التنور، وتسمى هذه العملية عند بعض تلك البلاد باسم (الخضير). وعندما تصبح الأقراص جاهزة توضع في إناء مصنوع من الطين الفخاري، ويضاف إليها لبن البقر المغلي، ثم تهرس بقطعة خشبية على شكل ملعقة تعرف باسم (المذربة) أو (المهرس)، ويضاف إليها قليل من السمن والسكر لكي تصبح حلوة المذاق، ثم يتم تناولها بالأصابع، وغالباً تكون أكلة مشهورة في شهر رمضان. وخاصة في وجبة السحور. والثريث خلاف طعام الثريد، فالأخيرة خبز من البر أو الذرة يفت ويبل بالمرق أو الماء، ثم يوضع أحياناً فوق اللحم. وهذه

الأكلة قديمة عرفها العرب منذ العصر الجاهلي، واستمرت خلال العهود الإسلامية المختلفة^(١).

٣. الحنيذ:

من اللحوم التي يتم إعدادها في بعض المناسبات، وذلك بعد جلب اللحم يوضع في التنور مباشرة على الفحم، ويُعطى مدة لا تزيد عن ثلاث ساعات، بعدها يخرج ويمسح بالماء المملح، لكي يكون طعمه مالحاً بعض الشيء. ويقوم بعمل هذه الأكلة الرجال والنساء على حد سواء، وتعرف عند أغلب سكان السروات وتهامة ومازالت من الأكلات المحببة عندهم إلى وقتنا الحاضر. ولأن اللحوم لم تكن متوفرة بشكل كاف في القديم، فالكثير من الأسر لا تأكل اللحم إلا في عيد الأضحى، فيعلقونها على حبال في أماكن جيدة التهوية، ثم يستعملونها طوال العام على فترات متباعدة، ويطلق على هذه العملية اسم (القليد) في بعض الأجزاء السروية، و(الخبزين) في البلدان التهامية. وعُرف طعام آخر اسمه (المحشوش) في جازان وصبيا وما حولهما، أو (القورمة) في بعض الديار السروية. وهذا النوع من الطعام يختلف عن (القليد) أو (الخبزين). وغالبا يقدم في عيد الأضحى، حيث يقطع جزء من الأضحية، ثم يفصل اللحم عن الشحم، ويوضع في قدر، ويطبخ حتى يذوب الشحم إلى سائل، ثم يوضع اللحم بعد تقطيعه إلى أجزاء صغيرة على ذلك السائل ويطبخ بعض الوقت، ثم يجمد ويرفع في مكان خاص، ويبدأ أصحاب البيت باستخدامه على فترات متباعدة ويستمر لفترة طويلة دون أن يصيبه العطب والفساد^(٢).

٤. الخمير:

يصنع من حب القمح، أو الشعير، أو الذرة الرفيعة، يطحن ويعجن ويخمر بعض الوقت، ثم يخبز في التنور على هيئة أقراص. والرواكة واللهيدة: طعامان متشابهان في الصنع، يصنعان من دقيق القمح، وفي بعض الأحيان من الذرة، ويضاف إليهما بعض البهارات، ويخلط عليهما السمن والعسل بعد نضجهما. وهذان النوعان بسيطان خفيفا الإعداد، وغالبا يعدان لكبار السن أكثر من غيرهم.

(١) للمزيد من التوضيح عن هذا النوع من الطعام انظر: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة، كتاب المخصص (بيروت. د.ت) ج ٥، ص ١٢.

m.m.Ahsan.Social Life Under the Abbasids (London:Longman. 1969).PP.76.

(٢) للمزيد عن الأطعمة والأشربة في عموم بلاد تهامة والسراة. انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة عسير) (ج ١٠)، ص ٢٩٢.٢٩٩. (منطقة جازان) (ج ١١)، ص ٣١٥.٣٢١. (منطقة نجران) (ج ١٥)، ص ٢٨١.٢٨٢. (منطقة الباحة) (ج ١٦)، ص ٢٨٧.٢٩١.

٥- المرزوم :

طعام شعبي يوجد في بعض الديار التهامية، ويصنع من خبز الذرة أو الدخن، يتم عصده مع اللبن المغلي حتى يصير على هيئة كتلة متماسكة بعضها مع بعض، ثم يوضع في إناء فخاري أو خشبي، ويصب في وسطه أو بجانبه اللبن أو السمن والعسل . وهذه الأكلة قريبة من طعام العريكة المشهورة في الأجزاء السروية من بلاد عسير والباحة ونجران . التي تصنع من خبز البر، ثم تقدم على صحن وقد كومت على أحد أطرافه وبجانبها قرح من السمن والعسل . وربما وضعت العريكة في قرح، ثم يوضع السمن والعسل في فجوة محفورة في وسطها . والمطحوح أو المبتوث، أحد أنواع العريكة المعروفة في السروات، يختلف في صنعه عن طعامي المرزوم والعريكة السابقين الذكر، وهو طحين القمح المطبوخ مع الماء واللبن . ويقدم بعد نضجه ممزوجا بالسمن والعسل في شكل مبتوث (شبه سائل) .

٦- السويق :

طحين الشعير الذي يقطف وما زال بين الخضرة والاصفرار، ثم يعجن في إناء ويطهى، ثم يضاف عليه العسل والسمن أثناء الأكل . والعسل : من الأطعمة والأشربة المتوفرة بكثرة في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسراة . فهناك فئة من السكان يعملون على تربية النحل ونقله من مكان لآخر بحثا عن الأزهار والأشجار الطبيعية الجيدة، ومن أهم أنواع العسل عسل الشوكة، وهو ما يتغذى نحلته على الأشجار والنباتات الشوكية ولونه بني غامق . وعسل السدرة، وهو ما يعتمد النحل في تغذيته على شجر السدر . وعسل المجرة، وهو ما يتغذى نحلته على زهور متعددة . من أهمها نبات يسمى (الوشاية) . ويأتي عسله أبيض ناصعا، وهو من أغلى أنواع العسل ثمنا . ويذكر العارفين بأنواع العسل، أن الأول والثاني من الناحية الغذائية والعلاجية أفضل، أما الثالث فهو الأذ، ونوع رابع يسمى (القبيضة أو الصيفي أو الغيلة) وهو نوع خفيف وأقل جودة من الأنواع السابقة . ومن هذه الأنواع ما يحتفظ بشمعه، ومنها ما يصفى من الشمع، والبعض من السكان يأكل العسل مع السمن والخبز وما شابهه . وبعض آخر يأكله أو يشربه بدون أن يخلط معه شيء آخر .

٧- العصيدة :

تصنع من القمح، أو من الذرة، أو من الشعير، وتؤكل مع المرق، أو مع السمن والعسل، أو اللبن، وتختلف طريقة أكلها عن الأطعمة الأخرى، وبخاصة إذا أكلت مع اللبن أو المرق، فتقبض اللقمة منها وتكور، ثم تقرص من الوسط حتى تصبح مجوفة، وتغمس في اللبن أو المرق فتملأ ثم تؤكل . ويحتاج الفرد بعض الوقت حتى يجيد طريقة

أكلها . وطعام العصيدة منتشر عند أهالي السراة أكثر من سكان الأجزاء التهامية، ويطلق عليه عند البعض اسم (المعصوية)، وخاصة إذا كان معمولاً من دقيق القمح فقط والمعصوية تختلف عن المعصوب الذي يكثر استعماله في المناطق التهامية، مثل: بيشر، وجازان، وصبيا، ومحائل، وغيرها . والمعصوب يصنع من دقيق البر الأسمر . ويوضع عليه الماء ثم يطبخ على النار لفترة قصيرة، مع الاستمرار في تحريكه مدة بقاءه على النار . أما العصيدة فتعرف عند بعض أهالي عسير باسم (المشغوث) أو (المشخوث) . وأحياناً تصنع بمقادير كبيرة، وخاصة في بعض المناسبات الاجتماعية الكبيرة، كحفلات الزواج، والأعياد، والختان . وعند الانتهاء من طهو العصيدة توضع في أواني مصنوعة من الأشجار المحلية، تسمى (صحاف)، ومفردها (صحفة) . ثم يغطى سطحها بالسمن والعسل . وهذا النوع من الطعام من أفضل الأكلات الشعبية عند الأوائل في القرون الماضية .

٨- اللحوح :

من الأكلات الشائعة عند أهل تهامة، تصنع من الذرة الرفيعة، أو الدخن في هيئة رقائق خفيفة، ويؤتد معهما في بعض الأحيان باللبن، أو الحليب، أو الحلبة، وغالباً ما تقدم في شهر رمضان . وفي تهامة يعرف نوع من الأطعمة يسمى (المخموعة)، ومكوناته اللحم، والبر الأسمر، والمرق، يصنع على هيئة أقراص، ثم يهرس في المرق، ويضاف عليه اللحم، وتمزج جميعها معاً ثم توضع على النار حتى تتضج .

٩- المرسة :

من الأطعمة المعروفة عند أهل تهامة، وتتكون من دقيق القمح الذي يعجن ثم يخبز في التنور . وبعد النضج يقطع إلى قطع صغيرة، ويضاف عليه الموز البلدي، ويخلط الموز مع الخبز، ثم يصب عليه العسل والسمن ويؤكل، وطعام المرسة يختلف عن المرسة المعروفة في بعض الأجزاء السروية في عسير والباحة التي تستخلص من طبخ التمر حتى يمتزج بعضه مع البعض الآخر .

١٠- المفتوت والمفحس :

المفتوت من الأكلات الشعبية في تهامة، يتكون من عجينة الذرة مع اللبن الرائب والماء الذي يمزج بعضه مع بعض حتى يصبح أكلة ليننة طرية، ثم يضاف إليه بعض الشيء من السمن البلدي أو المرق . والمفحس: من أكلات أهل تهامة أيضاً، وهو أقراص الذرة التي تفتت إلى قطع صغيرة، ثم يوضع في إناء فخاري يطلق عليه اسم (الحيسية)، وترش بالمرق حتى تصبح طرية سهلة المضغ، ثم يضاف فوقها اللحم .

وإلى جانب ما ذكرنا من أطعمة، هناك أنواع أخرى تأتي مع بعض المواسم والمحاصيل الزراعية، أمثال: شواء بعض ثمار نبات الذرة على النار، ثم فركها وأكل ما يستخلص منها من حبوب . ويطلق على هذه العملية عند بعض سكان الباحة وعسير ونجران أسماء عديدة مثل: كلمة (الغميل) أو (الحكيتة) أو (حميص) . أيضاً يقطف البرسيم، أو القضب من مزارعه، ثم يطبخ ويؤكل ويشرب ما ينتج عنه من ماء . وهناك خضروات أخرى، كالعدس، واللوبياء، وبعض ثمار الفاكهة تطهى وتؤكل، وأحياناً يتم أكلها بدون طهو، ويصطاد أهل البوادي بعض الغزلان، والأرانب، والحبارى، والطيور، فيشؤونها ويأكلونها . وأهل السواحل يقومون بصيد الأسماك والعيش على ما يتم صيده .

والبلاد العسيرية والجازانية، والنجرانية مليئة بالتمور والفواكه والخضروات المحلية، فهناك التفاح، والموز واللوز، والسفرجل، والتين، والبرشوم أو ما يسمى بـ (التين الشوكي) والعنب والمانجو، وهناك الطماطم، والبطاطس، والنعناع وغيرها من الخضروات التي تؤكل طازجة، أو تطهى قبل أكلها . وأغلب هذه الأنواع من الفواكه وغيرها لا توجد إلا عند أصحاب المزارع المستقرين الذين يمتنون مهنة الفلاحة، ومعظمهم في الأجزاء السروية الوسطى الممتدة من نجران جنوباً إلى بلاد زهران شمالاً، وفي بعض النواحي التهامية .

وفي بلدان السروات وتهامية الكثير من الأشربة كالمرق الذي يستخلص من طهي اللحوم، أو بعض الأشربة التي تنتج من طهو بعض الفواكه أو الخضروات، كخلاصة طبخ التمر أو البرسيم أو غيرهما . وعرفت المشروبات المشتقة من بعض الحيوانات، كاللبن، والحليب، والزبد، والسمن . وعرف العسل، والقهوة الحلوة والمر، وشراب القشر الذي يستخلص من طهي قشرة حب البن . وما نشاهد من تعدد في الأشربة الطبيعية والصناعية في وقتنا الحاضر (كالشاي، والعصاير والأشربة الغازية وغيرها) لم تعرف إلا في العهود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري . والكثير من السكان وخاصة أهل الأرياف والبوادي، لم يكن باستطاعتهم شراؤها حتى لو عرفوها، لما كانوا يعانون من الفقر وشظف العيش .

ومن الأواني المستعملة مع الطعام والشراب، ما هو مصنوع محلياً، أو مستورد من البلدان المجاورة، أو من بعض المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية، مثل: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والرياض، وصنعاء، وصعدة، وعدن وغيرها . وتختلف أسماء تلك الأواني من مكان لآخر^(١) .

(١) تم الإشارة في صفحات سابقة إلى بعض أدوات الطعام والشراب . ومضردات الطعام واللباس والزراعة والحرف الاقتصادية الأخرى تستحق أن تدرس في معاجم لغوية حتى يطلع عليها أجيال اليوم الذين لا يعرفونها .

وللطعام والشراب عادات تعارف عليها أهالي البلاد، فكان لهم في اليوم ثلاث وجبات رئيسية، وربما كانت أربعاً أو خمسا، الأولى وجبة الإفطار قبل شروق الشمس . وعند الضحى تقدم بعض الأطعمة والأشربة الخفيفة، وفي صلاة الظهر تقدم الوجبة الرئيسية الثانية، وهي طعام الغداء، وفي صلاة العصر يتم تناول بعض الأطعمة المصنوعة من الخبز مع شراب القهوة أو القشر أو غيرهما، وفي الليل بعد صلاة المغرب، وأحيانا بعد صلاة العشاء يقدم طعام العشاء، وهو الوجبة الرئيسية الثالثة . وهناك بعض الاختلاف في عدد الوجبات، وفي نوعية الأطعمة التي تقدم من أسرة لأخرى، كل حسب ظروفه وقدراته.

والنساء في كل أسرة يقمن بإعداد الأطعمة والأشربة لأفراد بيوتهن، والترابط والتعاون بين أفراد الأسرة الواحدة كان قويا، فتجدهم جميعا يتناولون الطعام معا في وقت واحد^(١) . والأم، أو الجد أو كبير الأسرة من يقوم بتقسيم الطعام بين أفراد الأسرة إن كان خبزا، فيعطى كلا على قدر سنه، فالفرد الكبير يعطى قسما أكبر من الطفل أو الفرد الصغير. وإن كان الطعام عصيدا أو هريسا، أو معصوبا، أو ماشابه ذلك فيوضع في صحن كبير، ثم يتقدم الرجال والأولاد الكبار فيأكلون، وبعد قيامهم يأتي بعدهم النساء والبنات والأطفال الصغار، وأحيانا كان يقسم الطعام في صحنين أو أكثر حسب حجم الأسرة . ثم يجتمع الرجال والأولاد والكبار على صحن، والنساء والأطفال على صحن آخر. وفي حالة وجود ضيف أو ضيوف عند رب الأسرة، يقدم لهم الطعام ويجلس صاحب البيت معهم، وأحيانا يتركهم يأكلون وحدهم، وبعد انتهائهم يأتي رب البيت وأفراد أسرته فيأكلون من بعدهم .

ولبعض سكان تهامة والسراة، عادات أخرى، إذ يستقبلون الضيوف فيرحبون بهم، ثم يقدمون لهم بعض الأطعمة والأشربة الخفيفة، كالتمر والقهوة، وعند تجهيز الوجبة المعدة للضيف، سواء كانت لحما ومرقا، أو هريسا، أو عصيدا، أو غير ذلك، يأتي صاحب البيت إلى ضيفه، ثم يناديه باسمه معلنا أن الغداء أصبح جاهزا، فيقوم الضيف ومن معه للأكل، وقبل البدء يقول صاحب البيت بعض العبارات التي يسمعا الضيف ومن جلس معه على الطعام، معبرا أن هذا الطعام من أقل الواجبات التي يقدمها لضيوفه، ثم يطلب منهم البدء في الأكل، مع طلب المعذرة منهم إذا كان هناك تقصير في واجبات الضيافة^(٢) .

(١) بخلاف عصرنا الحاضر، الذي تفرق فيه أفراد الأسرة الواحدة، وكثرت أعمالهم فلا نراهم يعيشون العيشة التي كان يحيها الأوائل في القرون الماضية، وصار الكثير من أفراد الأسرة الواحدة لا يجتمعون إلا في بعض المناسبات الكبيرة كالأعياد وغيرها. وأحيانا لا يجتمعون كلهم حتى في الحفلات الكبيرة .

(٢) هذه العادات توارثها الآباء عن الأجداد، وهي من العادات الحميدة التي تعكس مقدار الكرم عند أهالي البلاد، وما زالت سارية المفعول حتى وقتنا الحاضر.

ولأهالي جنوب المملكة العربية السعودية آداب في تناول الطعام، حيث يقوم البعض منهم بغسل الأيدي قبل الأكل، ثم الجلوس على الأرض حول صحون الطعام، إن كان عصيداً أو هريساً وما شابهه، مع استعمال أصابع اليد اليمنى في الأكل، وذكر اسم الله عند البدء، وعند الانتهاء من الأكل يحمدون الله على ما رزقهم، ثم يغسل بعضهم أيديهم إذا كان الأكل الذي أكلوه يحتاج إلى غسل، وأحياناً، وخاصة عند الفلاحين والرعاة، وأصحاب الحرف اليدوية، لا يغسلون أيديهم إذا أكلوا أكلة دسمة، وإنما بعد انتهائهم من الأكل يمسحون أيديهم ببعضها لأجل فرك الدهون التي بأيديهم حتى تختلط بجلودهم لعلها تكسبها بعض النعومة فتقلل من جفافها الذي ينتج عن ممارسة مهنتهم كالزراعة والرعي وغيرها .

وليس ما ذكرناه من ألوان الطعام وأنواع الأشربة، وعاداتها وتقاليدها، هو كل ما كان معروفاً من هذه الأصناف لكنني فيما أعتقد ذكرت أهمها وربما معظمها، وقد يكون فاتني ذكر بعضها، وليس الغرض هو الإحاطة بكل شاردة وواردة عن كل ما كان يتناوله الناس من طعام وشراب، وإنما الغرض الحقيقي هو إعطاء صورة عن ذلك، أملاً أن أكون قد وفقت في إعطاء هذه الصورة حقها من الوضوح والتبيين^(١).

ثانياً: اللباس والزينة :

كان اللباس عند الأوائل متواضعاً في النوع والعدد، فالفقراء وعامة الناس يكتفون بأبسطة قليلة ورخيصة. بعكس الأغنياء والوجهاء والشيخوخ فكانت أحوالهم أفضل من غيرهم . كما أن العلماء والفقهاء والتجار كانوا في وضع لا بأس به لمكانتهم الاجتماعية أو الاقتصادية . وللبئنة دور في نوعية الملابس، فأهل السروات من الطائف إلى قحطان ونجران يحرصون على اقتناء الملابس السميكة والثقيلة لبرودة الجو وبخاصة في فصل الشتاء . أما أهل تهامة من مكة المكرمة، والليث، والقنفذة، والمخوة إلى حواضر وقرى جازان فألبستهم خفيفة لحرارة الجو في الصيف واعتداله في الشتاء . والحديث عن اللباس والزينة في عموم جنوب المملكة العربية السعودية يحتاج إلى عدة أسفار لاستيفاء دراسة هذا الموضوع لكنني أدون صفحات محدودة في هذا الباب، وقد يأتي بعدي من

(١) للمزيد من التفاصيل عن الأطعمة والأشربة وآدابها انظر: ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو . (الطبعة الرابعة /١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) ص ١٠١، ٤٢٩، ٤٧١. عبد الله الحامد، الحياة الاجتماعية في جزيرة العرب خلال قرنين من الزمان (١١٥٠-١٢٥٠هـ) مجلة العرب، ج.٢، ٤ (سنة ١٤) ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢٠٨-١٩٥. M.Ahasan. Social. Life. pp. 76-164. أيضا هناك العديد من البحوث التاريخية والجغرافية (غير المنشورة) في كلية التربية - جامعة الملك سعود - فرع أبها، وفيها الكثير من المعلومات القيمة عن الحياة المعيشية في بلاد السروات وتهامة للمزيد عن هذه البحوث انظر: محمد بن أحمد بن معبر . دليل البحوث الجامعية في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ببلو جرافيا مشروحة (١٤٠١-١٤٣٥هـ/١٩٨١-٢٠١٤م) (الرياض: مطبعة الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (٥٥٠صفحة) .

يدرسه دراسة دقيقة وتفصيلية . وحديثي سوف يركز على لباس الرأس، ثم البدن، ثم القدمين .

فلباس الرأس عند الرجال . وخاصة سكان الأجزاء السروية، كان العمامة^(١) . ويطلق عليها البعض اسم (غترة) أو (دسّمال) بكسر الدال وتشديد السين . وهي قطعة من القماش الأبيض، أو الأحمر، أو الأسود، أو البني، كانت تلبس على الرأس بطرق مختلفة . فهناك من يلفها حول الرأس، أو يضعها منشورة ثم يربط طرفيها من حول الرقبة . ولأهمية العمامة ومكانتها عند المجتمعات العربية بشكل عام، وعند الكثير من سكان السروات بشكل خاص، كان الرجال صغاراً وكباراً يلبسونها، وهي في العرف العربي ومن قديم الزمان تزيد الرجال وقارا . ومن لا يلبسها كان ينظر إليه بعين الازدراء . ولها فوائد أخرى فهي تحمي الرأس من حرارة الشمس، وشدة البرد، وتكسب من يلبسها جمالا ومنظرا حسنا .

والعلماء والفقهاء والأمراء وشيوخ القبائل وكبار السن كانوا أكثر الناس حفاظاً على لبس العمامة، والبعض منهم يلبس عليها عقال المقصب الذي يتم استيراده من بعض أسواق الحجاز، وفي أغلب الأحيان يلبس من تحت العمامة الكوفية المصنوعة من القماش الخفيف، التي لا تختلف في شكلها عن الكوفية، أو ما يسمى بـ (الطاقية) في وقتنا الحالي . ويلبس (القُبّع) في أوقات البرد من تحت العمامة، وأحياناً يلبسه كبار السن وقت النوم، وفي العادة يصنع من القطن أو الصوف، فيغطي به الرأس، ثم تتدلى أطرافه حتى الأذنين والرقبة .

أما النساء فكان لزاماً عليهن تغطية رؤوسهن بحجاب، لما يمليه عليهن الشرع الحنيف، والحجاب المستخدم متعدد الألوان، فكان منه الأسود، أو الأخضر، أو الأصفر، ويظهر هناك اختلاف في لباس الرأس عند البنات الصغيرات، أو اللاتي لم يتزوجن بعد، حيث كن إلى عهد قريب، يلبسن غطاء للرأس ذا لون أبيض أو أصفر . وبعد زواجهن يضعن على هذا الغطاء غطاءً آخر يسمى (مقلمة)، ويكون في الغالب أسود اللون .

وكان كبار السن من الرجال والنساء يعصبون رؤوسهم من فوق العمامة للرجال، أو المقلمة للنساء، وما زالت هذه الظاهرة مستخدمة حتى الآن عند بعض سكان البلاد، كما أن الأولاد الصغار، وخاصة أبناء البوادي، يكتفون بوضع كوفية على الرأس بدون عمامة، وأحياناً تبقى رؤوس بعضهم حاسرة، وليس ذلك ناتجاً عن عدم رغبة في لبس

(١) عرفت العمامة عند العرب من قبل الإسلام، واستمر استخدامها والاهتمام بها خلال العهود الإسلامية المختلفة، انظر: ابن جريس، العمامة تيجان العرب، مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي، عدد (٨) (محرم، ١٤١٣هـ) ص ٢٦-٧١.

العمامة أو الكوفية، ولكن لعدم الحصول عليها، للفقر والشح الذي كانوا يعيشون فيه^(١).

وفي الأجزاء التهامية من جنوب مكة المكرمة تغطى بعض النساء رؤوسهن بنوع من القماش يسمى (المصر)، ثم يوضع من فوقه لباس آخر ذو لون أسود، يطلق عليه اسم (القطاعة)، وله أسماء عديدة مثل: قطاعة نجران، قطاعة ساري، قطعة طبيعي .

والبعض من الرجال في تهامة، لا يلبسون على رؤوسهم أي لبس، وإنما يربون شعورهم، ثم يضررونها، وتترك مكشوفة، ويتباهون بكثافة الشعر، ويطلقون عليه اسم (الجمم) أو (الجهوف) بكسر الجيم أو ضمها، وأحياناً يعصبون الشعر بعصائب مصنوعة من بعض الأعشاب أو الشجيرات المحلية^(٢).

أما ألبسة البدن الخارجية عند الرجال والأولاد، فكانت تخضع للأحوال المادية فالأمراء والشيوخ والأغنياء والتجار يلبسون بعض الثياب ذات الألوان والمنسوجات المختلفة، أمثال : الجبة، والشملة، والعباءة، والرداء، والخميصة والملاحف، وغيرها^(٣). ومعظم هذه الألبسة تستورد من المراكز الحضارية الكبرى في اليمن والحجاز^(٤). وكان هناك ألبسة أخرى تصنع من جلود وأصواف الحيوانات المحلية .

ومن ألبسة الرجال في بوادي السراة، الثياب المعروفة باسم (المذيل)، وهي ثياب طويلة الأكمام، فكم الثوب الواحد تراه واسعاً، ومفتوحاً من أحد طرفيه، ويتدلى له طرف طويل بشكل مثلث تقريباً من الطرف الآخر، وهو ثوب واسع وقصير . ربما إلى ما فوق الركبة، وغالباً يصنع من قماش الدوت أو (المبرم) . ويلبس من فوق الثوب العباءة أو الشملة المصنوعة من الجلود أو الصوف ذات الألوان السوداء . أو البيضاء، أو الحمراء الداكنة . ويصف الرحالة تاميزيه (Tamisier) ألبسة بعض الأعراب في بوادي عسير، فيقول : " .. ولم نجد لديهم شيئاً من الأقمشة المستوردة من الهند ومصر، وهم يلبسون

(١) ليس هناك وجه مقارنة بين اليهود التي عاشها الأوائل، وبين عصرنا هذا، فالأوائل كانوا في حياة كلها فقر وضيق في العيش واللباس، أما اليوم فكثرت الخيرات، وتعددت أصناف الألبسة حتى أصبح من الصعب حصرها .

(٢) مازال في تهامة وعسير وجزان البعض ممن يجيد هذه الطريقة، وأحياناً يستبدلون عصاية الأشجار، بالعقال أو ما شابه.

(٣) انظر تعريفات هذه الألبسة في المعاجم العربية. كلسان العرب، لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، كما أشار إليها M . Ahsan.Social life. pp

(٤) يرجع استيراد أهالي الطائف والباحة وعسير ونجران للألبسة والمنسوجات من حواضر اليمن والحجاز، إلى العهد الجاهلي، وإلى عهود الإسلام المختلفة، انظر: أبو الوليد الأزرقى. أخبار مكة وما جاء فيها. تحقيق رشدي ملحس (مكة المكرمة، مطبعة دار الثقافة. ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م) ج٢، ص٢٣٩، ابن الجاور تاريخ المستبصر، ج١، ص٣٦٣٥، محمد بن عبد الله بن بطوطة. رحلة ابن بطوطة (بيروت: دار صادر، ١٣٩٢هـ)، ص١٦٤.١٦٥. انظر جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: العلم للملايين، ١٩٧٨م) ج٧، ص١٨ وما بعدها، ابن جريس. أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى . مجلة المنهل . عدد (٤٩٨) . (مج٥٤) ١٣/١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٩٥.٧٨.

رجالاً ونساءً أثواباً بيضاء أو ضاربة إلى السواد ... وتضع المرأة في خشمها خاتماً، وفي عنقها عقداً من الودع...^(١).

وألبسة البدن الخارجية عند أغلب رجال السراة لا تختلف عن ألبسة أهل البوادي من حيث سترها للجسد، لكنها لم تكن واسعة الأكمام وعريضة كالثياب المذيلة عند البدو. وفيها ما كان يصنع من الدوت، أو البفتة، أو الكتان الأبيض، أو الصوف الملون، ولم تكن الثياب كثيرة وموجودة بوفرة عند جميع أفراد وأسر المجتمع، وإنما البعض كان لا يملك إلا ثوبا واحدا يمارس فيه جميع أعماله. أما الأكمية التي توضع فوق الثياب فهناك العباءة أو الشملة أو بعض الألبسة الأخرى، وأحيانا لا يملك أفراد الأسرة الواحدة، إلا شمله أو عباءة فيلبسها كبيرهم، أو من يخرج خارج المنزل وقت البرد، وأحيانا أخرى لا تملك كثير من الأسر لا شملة ولا عباءة، وإنما جميع ألبستهم أسمال خلقة بالية تستر عوراتهم فقط.

أما ألبسة الرجال في البلاد التهامية فتختلف بعض الشيء عن ألبسة غيرهم في البوادي والسرورات، ومعظمها يقتصر على الأزر المكونة من المصنّف أو الحوك، أو المثلوث، أو الجرايف، أو بعض الأردية المعروفة باسم (الكرتة) وغالبا تصنع من الأقمشة ذات الألوان السوداء أو المخططة، وهناك من يلبس الثياب الفضفاضة الواسعة، وخاصة من طبقة الأغنياء والتجار، والوجهاء، وأحيانا العلماء والفقهاء.

والمصنّف: لباس يصنع من القطن وبه خطوط عديدة وأطراف ملونة، وله خيوط في الأطراف ملونة من نفس ثوب المصنّف، وغالبا كان يُصدره التجار من مدن اليمن أو الحجاز الكبرى، أما طريقة لبسة فيلبسه الفرد على الجزء السفلي أو العلوي من الجسد، وأحيانا يستخدم كغطاء عند النوم.

أما الحوك: ويعرف أحيانا باسم (الحوكة) فهو قماش يؤنزر به لستر العورة، ويعتبر من الأزياء الشعبية المنتشرة في أجزاء كثيرة من تهامة، وما زال البعض من السكان يحبذون لبسه داخل البيت وخارجه.

والمثلوث والجرايف: من المآزر التي يأتزر بها الرجال على الجزء السفلي من الجسد، أما الجزء العلوي فيغطي بالقميص أو المصنّف وما شابههما. والمثلوث يلبسه

(١) انظر مقالة تاميزيه في مجلة العرب، ص ٦٥٧. للمزيد انظر غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٦٧. ومن يطلع على كتب الرحالة الذين زاروا بلاد السرورات وتهامة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطلة والحديثة فإنه سوف يجد تفصيلات كثيرة في هذا الجانب. انظر محمد بن أحمد معير. الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (٢٠٢٠هـ/١٥٠٠م). (الرياض: مطابع الحميضي، ٢٠١٨م). جزءان في (١١٠٥ صفحة).

الرجال صغاراً وكباراً، وغالباً يحتوي على لونين هما: الأسود والأبيض، ويعتبر من الألبسة المرغوبة عند بعض الرعاة والمزارعين . أما الجرا في فكان يستورد من بعض مدن اليمن الكبرى . ويغلب على شكله تعدد الألوان، ويفضل تقديمه في حفلات الزواج، كنوع من الألبسة التي يشترط إحضارها للزوجة .

أما ألبسة النساء فتختلف باختلاف المكان، والوضع المادي والمستوى الاجتماعي . فالنسوة من أسر التجار والأغنياء والأمراء يلبسن الثياب ذات الألوان والأنواع المختلفة، كالأقبية المصنوعة من الفرو، أو الثياب القطنية، أو الصوفية، أو الحريرية، أو الكتانية، ومن يلبس هذه الأنواع لا يكون إلا نسبة ضئيلة في المجتمع الجنوبي السعودي، والغالبية العظمى كانوا يعيشون عيشة بسيطة وشحيحة، حتى إن بعض النساء لا يملكن إلا ثوبا واحداً يمارسن فيه مختلف أنشطتهن . والغالب على ثياب النساء أن تكون واسعة وساترة لجميع الجسد، وأشهر الثياب التي تكثر ألوانها وخطوطها، ذلك الذي يطلق عليه اسم (المزند) أو (الستن)، وخاصة إذا كان لونه أسود ومزيناً بخيوط الحرير والقصب، بـ (السيم) التي هي خيوط ذهبية أو فضية تختلف في أسمائها بقدر ما يوضع عليها من تلك الخيوط، فمنها ما يعرف باسم (العارضي) أو (شبكة) أو (تلوه) .

وبعض النسوة كن يلبسن من ألبسة الرجال، لندرة الألبسة وعدم توفرها، وفي البوادي وبعض الأرياف يقوم النساء بنسج الصوف، أو دباغة الجلود، ثم خياطتها على هيئة لباس، وعرف العديد من الألبسة في القرون الماضية، مثل: الأقمصة، والملايات، والمدرعة، والكرتة . وأحيانا يلبس فوق الثياب دثار مثل الشملة أو القباء الذي يعرف في بعض مناطق السراة باسم (المزر)، الذي يصنع من جلود الأغنام، ويلبس مقلوبا (أي يكون الوجه الذي به الصوف من الداخل) . ولباس آخر عرف باسم (النطع) يصنع أيضا من جلود الأغنام الصغيرة، ويفصل بمساحة تغطي الظهر فقط، أما المزر فينشر على الظهر ابتداءً من أعلى الكتفين حتى الكعيبين، ويربط طرفاه العلويان برباط يلتف حول الرقبة، وهذا النوع من اللباس لا يرتديه إلا النساء المتزوجات، وأحيانا تلبسه العروس يوم زواجها، ويلبس داخل البيت، وأثناء الزيارات وفي أيام المناسبات^(١) .

ومن ألبسة النساء في تهامة الثوب والقميص كلباس خارجي، والفوطة والحوك والمصنف كلباس داخلي أو خارجي . ولدى بعض النسوة ألبسة معروفة بأسماء ومصطلحات معينة مثل : حرب صنعاء، وصرح دبا . وهذان النوعان يصنعان من

(١) يوجد في أجزاء عديدة من بلاد عسير والباحة متاحف شعبية بها العديد من الألبسة المختلفة التي كان يستخدمها الرجال والنساء خلال القرون الماضية . حبذا لو تم الاطلاع عليها لمن يريد الاستزادة حول هذا الجانب الحضاري .

القطن ويستخدمان في الأعياد ومناسبات الزواج والختان . والنساء يتفاخرن باقتناء مثل هذه الأنواع من اللباس، وعرفت ثياب (الأبيك) ، وهي من الأنواع الفاخرة التي يصدرها التجار من الحجاز واليمن، ولباس الجلجلان وهي: أقمشة خفيفة يوجد بها بعض النقوش المشابهة لحب السمسم .

والألبيسة الداخلية عند الرجال والنساء لم تكن موجودة بكثرة، وإنما كان هناك من يلبس الأقمصة والسرراويل تحت الثوب، وأحياناً بعض السكان يلبس أكثر من ثوب وثوبين في وقت واحد، وفي أوقات أخرى يلف أسفل الجسد بالحوك أو المصنف ثم يرتدي الثوب من فوقها^(١).

أما ألبسة القدم عند النساء والرجال فكانت متوفرة عند الموسرين وعلية القوم في المجتمع، فلبسوا الأحذية الجلدية المصنوعة محلياً. وفي القرن (١٤هـ / ٢٠م) صاروا يستعملون الأحذية الأجنبية التي تستعمل حالياً، وهي (الجزم، ومفردتها جزمة)، كانت تستورد من مدن الحجاز واليمن، وأحسن الأنواع منها لامع الجلد صقيل . واستخدمت أحذية أخرى عرفت باسم (شبشب) وجمعها (شباشب) . واستخدمت مؤخراً الأحذية المتعددة الألوان مع الجوارب، أو ما يعرف باسم (الشراب) . والأحذية الأنفة الذكر، لم تعرف وتلبس إلا عند القلة القليلة من السكان، وخاصة الوجهاء منهم والأعيان . أما عامة الناس فكانوا يلبسون الأحذية الجلدية البسيطة الصنع، التي لها شريط رفيع يلف وسط القدم . وشريط آخر بين الإصبعين، الكبرى والتي بجانبها. وهذا النوع من الأحذية لم يكن فيه كبير فائدة . والكثير من النساء والرجال، كالمزارعين والرعاة ومن هو في عداد الفقراء كانوا حفاة، وأقدامهم قاسية الملمس من طول المشي في الصحاري والجبال والأودية . وهناك من يلبس بعض الأحذية المصنوعة من خوص النخل، أو من الليف، أو الطفي، أو بعض قطع الخشب .

والزينة تختلف من مجتمع النساء إلى مجتمع الرجال، كل حسب طبيعته البشرية، فالرجال يطلقون لحاهم فلا تجد بينهم حلياً^(٢) . ويحتزمون بالخناجر والجنابي ومفردتها (جنبية) وهي: خنجر حاد له مقبض من الفضة . والجنابي في عسير، والباحة،

(١) في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) وخاصة بعد تدفق البترول، صار السكان يستوردون الكثير من الألبسة الداخلية والخارجية ولم تأت العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) إلا وأصبح الناس في خير من أمرهم، فأصبحوا يمتلكون أعداداً كثيرة من الألبسة المختلفة من حيث اللون والنوعية .

(٢) ظاهرة حلق اللحية في عصرنا الحاضر، من العادات التي قدمت علينا من البلدان العربية والأوربية المختلفة، وخاصة بعدما نشطت وتحسنت المواصلات، وتطورت وسائل الإعلام، فأصبح العالم كله كالتقريب الصغيرة التي يعرف ما بداخلها، وبالتالي حدث الاندماج والاختلاف بين العناصر البشرية المختلفة، ونتج التقليد والاقتراب من بعضهم لبعض .

ونجران ثلاثة أنواع : الشامية، والقديمي، والمعيرة، ولا ينتقل الرجل من مكان إلى آخر ليلاً أو نهاراً، أو في أي مناسبة، إلا ومعه جنبيته، أو ما ينوب عنها، كالخنجر الصغير الذي يطلق عليه في بعض الأماكن اسم (مضيّة)، أو العصا، وأحياناً المسبت، وهو بيت الرصاص. ويتوشح الرجل بعض الأسلحة النارية، كالمسدسات، أو البنادق، وهي عدة أنواع مثل: الهطف، والفتيل، والمقمع ويستخدم معها البارود . أما الموزر، والنبوت، والمارتين، والعصملي، والنيمس فيستخدم معها الرصاص. وبعض هذه الأنواع من الأسلحة كانت وما زالت تستخدم إلى اليوم مع الألبسة الجديدة في المناسبات المختلفة. كالزواج، والختان، والاستقبالات والحفلات المختلفة . والكثير من سكان السروات يقتنون البعض من هذه الأسلحة، فيضعه الرجل منهم في أماكن مخصصة من المنزل، مع العناية بنظافتها وصيانتها .

ويستعمل الرجال النباتات العطرية المختلفة، كالرياحين، والكادي، والنعناع، والشيح . والضرم، والبغثيران فيضعونها في جيوبهم أو على هاماتهم، ويسميها البعض منهم باسم (غراز) . ويكثر استخدام مثل هذه النباتات في الأعياد، ومناسبات الزواج، وصلاة الجمعة . وفي بعض الأجزاء التهامية يعمل من هذه النباتات عصابة، ثم توضع على شعور رؤوسهم المعروفة باسم (الجمم) أو (الجهوف) . ويستعمل الرجال الكحل في العيون، ويسرح بعضهم شعره، ثم يفرقه من منتصف الرأس إلى فرقتين، ويضفره إلى جدائل . ويستعمل الرجال الحناء في أيديهم وأرجلهم، وأحياناً يغيرون بها بياض شعورهم، وخاصة من وصل سن الشيخوخة، ويتختمون بخواتم من الفضة أو الحديد . وفي القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) صار بعض الرجال يتزين بحمل المسبحة في يده، أو وضع أقلام الحبر، أو حمل علبة الدخان أو المناديل في جيوبهم .

ومن زينة النساء لبس الحزام الفضي الناصع البياض، والحلي الأخرى، كالبلة، أو القلادة على الجيد، والعصابة على الرأس، والمسك، وتعرف أيضاً باسم (الجودل)، والمفارد المصنوعة من خرز الظفار وغيره، وجميعها تلبس على الذراعين، أو في المعصمين، والخواتم في الأصابع، والحجول أو الخلاخل في القدمين، والمعاضد فيما بين الكتف والمرفق من اليد، ومنهن من تستعمل (الزمام) في الأنف، والقرط في الأذن، وأغلب هذه الحلي من الفضة الخالصة، ومنها ما يصنع محلياً، وبعضها يستورد من الحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية .

والنساء أكثر ولعاً بالروائح العطرية والنباتات ذات الرائحة الزكية من الرجال، ويتفاخرن بزراعتها في أحواض أمام منازلهن، ويقطفها ندية زكية الرائحة، ويضعنها على رؤوسهن بطريقة تلفت النظر كالإكليل، يسمينه (مكعسا) أو (غرازا) ويقوم بعض النساء بنظم الورد، والياسمين، والفل على شكل عقود، ثم يضعنه في العنق،

ويستخدم الحناء فيضعنها على الأيدي، والأرجل، وأحياناً على الشعر، كما يفعل الشيوخ من الرجال. ولا يقتصر الحناء على المتزوجات من النساء، وإنما يستعمله الأولاد والبنات الصغار. وبعض النسوة في عسير وجازان ونجران والباحة يستعملن الحناء بشكل أكثر أناقة وتهديبا. فتوضع الحناء على الأظفار للكفين والقدمين، ثم تزين بها أصابع اليدين، من الوسط، في خطوط طويلة، ثم تصبغ باطن الكف. والعفص مادة سوداء تصبغ الجلد، كان يستعمل كذلك بنفس الطريقة في أظافر القدمين والكفين، ثم توضع منه خطوط على شكل نقط صغيرة متقاربة في وسط الأصابع، ويترك الكف دون صبغ. ولعل هذا، هو ما أشار إليه الشاعر في القصيدة التي تنسب إلى يزيد بن معاوية، الخليفة الأموي الثاني، التي كان يتغنى بها بعض الشعراء، ولازال يرددتها البعض حتى الآن، التي مطلعها :

نَالَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنْلُهُ يَدِي نَقَشًا عَلَيَّ مَعْصَمٌ أَوْهَتْ بِهِ جَلْدِي
كَأَنَّهُ طَرَّقَ نَمْلٌ فِي أَنَامِلِهَا أَوْ رَوْضَةٌ رَصَعَتْهَا السُّحْبُ بِالْبَرْدِ

والشاهد هو في وصف هذا النقش في البيت الثاني (كأنها طرقت نمل في أناملها). وهو وصف دقيق لهذا النقش الذي كانت تستعمله النسوة بالحناء والعفص حتى وقت قريب. وإذا صحت نسبة القصيدة إلى يزيد بن معاوية. وهو الذي عاش وولي الخلافة الأموية في القرن الهجري الأول، فكأن هذه الزينة عاشت حوالي ألفا وأربعمائة عام .

ومن زينة النساء العطور المستخلصة من النباتات العطرية المحلية، أو العطور التي كانت تستورد من الحجاز واليمن، أمثال: عطر الورد، وعطر الكادي، وعطر العود، وعطور أخرى عديدة. والبعض من أنواع البخور كانت تستورد من الأسواق الكبرى في شبه الجزيرة العربية، وجميع هذه الأنواع كانت لا توجد عند الغالبية العظمى من أهل البلاد، وإنما يملكها الأغنياء والمقتدرون على شرائها .

ثالثا: العلاج الشعبي :

إنه من الصعب مقارنة الأمس باليوم في ميدان الطب وطرق التداوي فقد تقدم الطب والتطبيب وقتنا الحاضر، وكثرة الأطباء المتخصصون في جميع الأمراض، وأنشئت المستشفيات والمستوصفات العامة والخاصة. وصار الناس في يسر من أمرهم، بعد أن كانوا في ضائقة شديدة، فلا يعتمدون بصورة عامة إلا على بعض الوصفات الشعبية من قبل الآباء والأجداد، والمتوارثة جيلا بعد جيل، وأحيانا كان هناك بعض السيدات والرجال الذين يلجأ إليهم الناس في بعض المسائل الصحية والعلاجية .

ومن خلال لقاءاتنا ببعض المسنين في أجزاء من السروات وتهامة، واطلاعنا على بعض المصادر والوثائق المتعلقة بتاريخ المنطقة، اتضح لنا انتشار العديد من الأمراض الفتاكة خلال القرون الماضية، وهذا مما جعل الكثير من أهل البلاد يؤرخون بأوقات

حدوث بعض تلك الأمراض، دون أن يحددوا سنة الحدوث، لكن يقولون : (زمن الطاعون)، أو (زمن الجدري)^(١). وهذان المرضان كثيراً ما كانا ينتشران بين الناس فيفتكان بهم، ويقضيان عليهم . ومن يسلم من مرض الجدري ويشفى قد يترك على وجهه أو بعض أجزاء جسمه آثار بقع سوداء . وكثيراً ما نجد تلك الآثار على وجوه وأجسام البعض ممن أصيبوا بهذا المرض في الفترات الأولى من القرن الرابع عشر الهجري، وما زالوا على قيد الحياة إلى عصرنا الحاضر.

ومن الأمراض التي كانت شائعة بين الناس في الماضي، الحمى، وخاصة في المناطق الحارة في تهامة، وبعض الأجزاء الشرقية من بلاد عسير والباحة، والطائف ونجران. وأمراض الرأس، كالصداع وما شابهه. وأمراض العيون، كالرمد، أو ظهور الماء في العين، أو أمراض النساء، وحالات الحمل، والولادة والنفاس، أو أمراض الجلد، أو الجروح، أو الكسور، أو أمراض الجنون، أو أمراض الأسنان، وغيرها من الأمراض التي كانت منتشرة بين سكان تهامة والسراة، وغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية^(٢).

واختلفت طرق العلاج من شخص لآخر، ومن مكان لمكان، فالمراكز الحضارية الكبرى، كالقنفذة، والبرك، وصببا، وجازان، وأبها، وخميس مشيط، وبيشة، والباحة، والنماص، والطائف، ونجران كانت أحوالها الاجتماعية والاقتصادية أفضل مما كان عليه الحال في البوادي والأرياف في باقي البلاد. وبالتالي كان يوجد بها بعض العارفين بالأمراض وطرق علاجها، مع العلم أن الطرق المستخدمة في جميع أنحاء البلاد كانت بدائية . والكي يأتي على رأس القائمة، فعندما يتألم الواحد من صداع برأسه، أو يظهر على جلده بعض الدمامل والحبوب، أو يصيب الظهر، وأحيانا، الصدر أو البطن بعض الآلام، يلجأ إلى علاج ذلك بالكي . وطريقته يأتي من يقوم بعملية الكي، فيسأل المريض عن موقع الألم، ثم يحدد موضعه، وموضع المكان الذي سيكوى، ثم يحضر له إناء به جمر متوهج، فيضع فيه الأداة الحديدية التي ستستخدم للكي، وهي قطعة من الحديد الرفيع، فإذا توهجت هذه القطعة بفعل بقائها في النار، سارع المعالج فكوى بها المريض في مواضع الألم التي حددها . ويتم هذا الكي دون تخدير، وبعض المرضى يحتاج إلى

(١) أدون هذا المحور عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) وفكك بالعالم مرض اسمه كورونا (Covid-19)، بدأ في مدينة أوهان في الصين خلال النصف الثاني من عام (٢٠١٩م)، واليوم ونحن في رمضان (١٤٤١هـ) الموافق شهر مايو (٢٠٢٠م) نجد هذا المرض انتشر في حوالي أكثر من (٢٠٠) دولة في العالم، وأصاب أكثر من أربعة ملايين وقتل حوالي نصف مليون (٥٠٠,٠٠٠) نسمة . وسوف يأتي المؤرخون في قادم الأيام فيقولون عام كورونا (١٤٤١هـ-٢٠٢٠م) .

(٢) للمزيد عن الأوبئة التي كانت منتشرة في بلدان السروات وتهامة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وما سبقه . انظر : موسوعة المملكة العربية السعودية (الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ). (منطقة عسير، ج ١٠، ص ٣٠٣-٣٠٧ .

الكي عدة مرات في وقت واحد . وأحياناً في أوقات متفرقة، وذلك حسب الحالة التي يراها الشخص المعالج. وفي بعض الأحيان يكون الجِد أو الوالد في الأسرة الواحدة، هو الذي يقوم بكي من يمرض من أفراد أسرته، وأحياناً أخرى يكون في القرية أو العشيرة بعض المختصين والعارفين بعملية الكي، فيلجأ إليهم المرضى وقت الحاجة.

وهناك من كان يقوم بفصد العين، وهذه العملية من أخطر أنواع العلاج، وهدفها معالجة العمى الذي ينتج عن ظهور الماء في إحدى العينين أو كليهما، وهو علاج قديم ظهر منذ عهد الدولة العباسية والدولة الفاطمية خلال القرون الإسلامية الوسيطة . وهذا العلاج يعتمد على فصد العين المصابة بالماء، وكان له بعض الأفراد المختصين من البدو، وهم قلة. فالفصد يتم بألة حديدية صغيرة تشبه المخيط الذي كان يستعمل لخياطة أكياس الخيش، وله طرف مدبب رفيع مسنون، فتفصد العين بهذا المخيط ثم تلف العين تماماً ويحجب المريض عن الضوء مدة يحددها المعالج، وبعدها يخرج فتكون النتيجة إما نجاحاً يستطيع به المريض أن يرى الناس والحياة التي كان محجوباً عنها، أو يفقد بصره إلى الأبد.

ويستخدم أيضاً العلاج بالنار، علاج الأولاد بعد خنتهم، والنساء من النساء بعد ولادتهن، أو بعض المرضى بالحمى وأمراض البرد . كل هؤلاء وغيرهم كانوا يعالجون بالدفء عن طريق إحضار الحطب، وإشعال النيران، وتوفير الجمر المتوهج، وأحياناً توفير البخور، أو روث الأبقال والجمال الجافة، لكي يعالجوا بها المجروحين أمثال: المختونين من الصبيان، أو من بهم جروح أخرى، اعتقاداً منها بأن وضع مثل هذه المواد على النار، ثم وقوف المريض عليها لكي يتسرب الدخان إلى الجسم، سيساعد على الشفاء والتئام الجروح .

وفي حالة وجود جروح في بعض أجزاء الجسم، كانت تستخدم أوراق أو لحاء بعض الأشجار، وأحياناً التراب، أو الطين، لإيقاف نزيف الدم . كما أن البعض في البوادي يعتقدون أن البول أو روث بعض البهائم يساعد على التئام الجروح .

أما الكسور وما يتعلق بها فقد عرف السرويون والتهاميون بعض المختصين في تجبير العظام، عن طريق إعادة العظم بعد انكساره إلى وضعه الصحيح، ثم ربطه مع خشبتين أو ثلاث، بعد وزنها بطريقة معينة. وأحياناً يستخدم جلد الماعز بدلاً من الخشب، فبعد إعادة العظم إلى وضعه الصحيح، يلف عليه الجلد، ثم يربط لعدة أسابيع، وأحياناً لشهر أو شهرين، وذلك حسب حجم الكسر، ولا يتوقف الكسور عند هذه العملية، وإنما يحرص على تناول بعض الأطعمة التي تساعد على التئام الجراح، ك لحم الضأن والماعز مع المرق والعسل، والسمن البلدي، وحبوب الذفاء والحلب^(١).

(١) الذفاء والحلب من الحبوب التي تزرع في بلدان السراة وتهامة، ويتم زراعة الذفاء في فصل الخريف، والحلب في فصل الصيف، وكلا النوعين من الحبوب المفيدة لأمراض الصداق، والبطن، وتجبير الكسور، وتليين الأعصاب، وتقوية أجساد النساء .

وفي بلدان السروات الكثير من الأشجار، والنباتات المفيدة لعلاج الكثير من الأمراض، وعرف أكثرها فاستخدمت في علاج أمراض عديدة، وما زالت المسؤولية قائمة على كواهل الأطباء المختصين، ليكشفوا لنا مدى أهمية استخدام هذه النباتات الطبية، وهل ما كان مستخدما عند الأوائل موافقا للدراسات الطبية الحديثة ؟^(١).

وفي مجال علاج أمراض العيون، عرف الماء الدافئ الممزوج مع الملح، ثم تغسل العين المريضة، كذلك لعلاج ظهور بعض الطفح على الجلد والحساسية تستخدم زيوت بعض الأشجار فيدهن بها المكان الملتهب، وعرف أهل البلاد مادة السنا، كمادة مسهلة، بل أن البعض منهم كان يستخدمها مرة أو مرتين، وربما أكثر من ذلك خلال العام الواحد، ويعتبرونها مطهرا للأمعاء، وتستخدم بعض أوراق الأشجار أو النباتات الأخرى لنفس الغرض.

أما أمراض النساء والولادة، فلم يكن هناك أدوية وعلاجات معروفة، وإنما أغلب النساء يحملن ويلدن دون أن يستخدمن أي شيء. وهناك نساء كثيرات كن يفارقن الحياة من آثار الحمل أو الولادة المتعسرة . وكان الكثير من الأطفال حديثي الولادة يموتون نتيجة أمراض عديدة يصابون بها قبل أو بعد الولادة، وكانت الولادة في البيوت، وتجد المرأة من يساعدها من النساء الخبيرات أثناء عملية الولادة، وربما ولدت بمفردها دون أي مساعدة .

ومرض الأسنان من الأمراض التي كان يعاني منها الناس دون أن يجدوا من يخفف آلامها، وفي الغالب أن الأسنان عندما تلتهب، أو يتألم منها صاحبها، يبدأ بالتصبر عليها، فيأخذ بعض أوراق الأشجار التي يعتقد أنها تخفف الآلام، ولكن إذا نفذ الصبر، وصار من المستحيل تحملها، يذهب إلى بعض المختصين الذين عرفوا بخلع الأسنان، وربما خلعها المريض بنفسه، وعلى أية حال، فإن طرق الخلع بدائية إذ لم يكن هناك مخدر، بل قد يسحب السن باليد، أو بخيط رفيع، أو بأداة حديدية شبيهة بـ (الزرادية) المعروفة في وقتنا الحالي . وكان يطلق على هذه الأداة عند بعض السكان اسم (الكلبة). وبعد خلع السن أو الأسنان، لا يستخدم المريض أي دواء معين، وإنما عليه بالصبر حتى يخف الألم ويشفى مكان السن المخلوع .

(١) للمزيد من التفاصيل عن نباتات عسير. انظر: محمد حسن غريب . النباتات في عسير. (النادي الأدبي : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) . وكتابنا: صفحات من تاريخ عسير، الجزء الأول . وخاصة الفصل الثاني من نفس الكتاب، وهو بعنوان : أهمية النباتات في الغذاء والدواء ببلاد السراة من خلال بعض كتب التراث الإسلامي، ص ٢١-٤٣.

ثالثاً: بعض الألعاب والفنون الشعبية في جنوب البلاد السعودية :

الألعاب والفنون الشعبية جزء من حياة الشعوب الاجتماعية، وبلاد السروات وتهامة عرفت الكثير من الألعاب التي تمارسها جميع طبقات المجتمع صغاراً وكباراً، ومناطق جازان، ونجران، وعسير، والباحة والطائف وما حولها مارست الكثير من الألعاب المحلية خلال القرون الماضية^(١). ونذكر شيئاً منها في النقاط الآتية:

١- الدسيصة :

تسمى أيضاً الغموضة، أو الغميما، أو الخشيشا، يلعبها الصبيان والبنات، وتغطى عينا أحد اللاعبين، ويختفي الآخرون، ثم يبدأ بالبحث عنهم، وإذا استطاع أن يمسك بأحدهم يحل محله، ويمارس نفس الدور، وإذا لم يستطع فإنه يعيد اللعبة مرة أخرى .

٢- القفز، أو المحادة، أو المواثبة :

غالباً يمارسها الشباب الأقوياء، ويشترك فيها أكثر من لاعب، وتمارس في عموم جنوب المملكة العربية السعودية، وهي أنواع، مثل القفز من مكان عال، أو القفز من على حاجز، أو القفز بشكل أفقي، والفائز هو الذي يحقق أعلى أو أبعد مسافة في قفزة. ويفضل أن يكون القفز الأفقي أو من مكان عالي، على أرض لينة حتى لا يتأثر من يمارس القفز أثناء سقوطه على الأرض^(٢).

٣- لعبة البربر أو النقيزا :

يلعبها البنات والصبيان، وتعرف في جازان بـ (البربر) وفي بعض بلاد السراة بـ (النقيزا) ويشترك فيها أكثر من اثنين، فيرسم مستطيل على الأرض ويقسم إلى عدة أقسام، وتستخدم الحجارة التي في حجم التمرة أو أكبر قليلاً، وترمى في المربع الأول، ثم يقفز اللاعب الأول على رجل واحدة، ويدخل إلى المربع ويرمى الحجرة إلى خارج المستطيل، ويكرر ذلك في المربعات الأخرى، وأحياناً يمارس نفس الطريقة لكنه يرمي الحجرة من مربع إلى آخر دون أن ينزل رجله المرفوعة .

٤- اللقطة أو الرقطة :

يلعبها البنات والأولاد، وتلعب داخل البيوت وخارجها، ويشترك فيها اثنان، ومادة اللعبة سبع حصيات صغيرات ومتساوية وتمارس برمي حجرة واحدة والنقاط حجرة

(١) معظم هذه الألعاب الشعبية القديمة اختفت وحل محلها ألعاب جديدة دخلت فيها التقنيات الحديثة، وبعضها صارت ألعاباً مستوردة، ليس لها صلة بموروثنا التاريخي والحضاري . .

(٢) شاهدت الكثير من الشباب وبعض الرجال يمارسونها في سروات الباحة وعسير وجازان ونجران خلال العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) . واليوم قل استخدامها في عموم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية .

أخرى من الحجارة الباقية، وأحياناً تلتقط حجرتان أو ثلاث أو أكثر أثناء رمي الحجرة الأولى إلى أعلى، وهناك طرق أخرى متعددة لهذا النوع من اللعبة، ولها قواعد وأعراف يعرفها اللاعبون ويمارسها الرجال والنساء وبخاصة الشباب أثناء رعي الأغنام، أو التنزه قريبا من المنازل .

٥. لعبة الفصى أو النصح أو رمي المثل :

تمارس في بعض الأجزاء التهامية، والفصى نوى التمر، وتبدأ اللعبة برص كل لاعب مجموعة من الفصى على جدار أو أي حاجز، ويقوم اللاعب الآخر على بعد ثلاث خطوات تقريبا. بالبحث عن حبة أو حبتين من الفصى الكبير ثم يرمى به رصة الفصى الخاصة باللاعب الآخر، فإذا أصابها أصبحت ملكه، والفائز هو من يستطيع جمع أكبر قدر ممكن من الفصى المرصوص . أما النصح أو رمي المثل : فهي لعبة قديمة في عموم تهامة والسراة، وممارستها تحديد هدف من الحجارة، أو الخشب، أو غيره. ويقوم اللاعب عن بعد برجمه بحجر، فإذا أصابه وأسقطه فاز، وهناك من يستخدم البنادق في إسقاط الهدف، لكنه لا بد أن يكون على بعد مسافة لا تقل عن كيلومتر أو نصف الكيلو. وكان الشباب وكبار السن يتبارون قديما في ممارسة هذه اللعبة.

٦. القطرة :

يلعبها الفتيان والفتيات، ويشترك فيها على الأقل لاعبان، وغالبا تتكون من تسع حصيات لكل لاعب، على شرط أن تكون مختلفة في اللون، فأحد اللاعبين حصواته سوداء والآخر بيضاء أو أحدهم يلعب بالحجارة، وآخر بالنوى (فصى التمر)، أو أي مادة أخرى مختلفة . وتمارس على ثلاثة مربعات متداخلة في بعضها، ويعترضها أربعة خطوط رأسية من الجهات الأربع . وإذا استطاع أي لاعب أن يصف ثلاث حصوات أو حبات مما يملك على خط واحد فإنه يفوز، ويأخذ حبة واحدة من خصمه، وهكذا تستمر اللعبة حتى يقضي أحدهم على جميع حصيات منافسه، وبالتالي يفوز باللعبة^(١).

٧. طاق طاقيه، أو حدارجي بدارجي :

عرفت هذه اللعبة في أجزاء من السروات وتهامة، وهي متشابهة عندما يجلس مجموعة من الشباب أو الشباب الصغار في هيئة دائرة . ثم يقوم واحد منهم ويلف على الحلقة وفي يده طاقيه (كوفية) ويقول: طاق طاقيه، ويدور عليهم عدة مرات ثم يسقط الطاقيه خلف واحد من الجالسين، ويدور مرة ثانية، فإذا وصل عند الذي خلفه الطاقيه ولم ينتبه أنها خلفه فالواقف يأخذها ويضربه بها حتى يقوم ويأخذ دورة كاملة

(١) مارسنا هذه اللعبة كثيراً في تسعينيات القرن (١٤٠١هـ/٢٠٠٠م) وبدايات هذا القرن في سروات بلاد الحجر وأبها. كما رأيت الكثير ممن كان يمارسها في مواطن عديدة في تهامة والسراة .

على الحلقة ثم يعود إلى مكانه . وإذا عرف بالطاقيّة قبل استدارة اللاعب فإنه يأخذها ويلحقه لضربه بها حتى يجلس في مجلسه الذي قام منه، ويواصل اللاعب الجديد اللعبة، وهكذا تستمر اللعبة لبعض الوقت .

أما لعبة حدارجي بدارجي فالجالسون في الحلقة يمدون أيديهم إلى الأمام، وأحد اللاعبين يدور عليهم، ويردد "حدارجي بدارجي . من كل عين دارجي . يا فاطمة بنت النبي . حظي يدك مع يدي . إن كان جرش [أي : حب مجروش] لحيه . وإن كان دق أمرطيه " . وإذا وصل الشادي إلى نهاية الأشرطة يقرص ظهر أو كتف أو رأس اللاعب الذي انتهت عنده، وتردد اللعبة عدة مرات^(١) .

٨. مصارعة أو مناطقة الطيور أو الحيوانات :

شاهدت في أجزاء من تهامة وسروات الباحة وعسير وجازان من يحضر بعض الديوك ويقابل بينهما للمصارعة، والفائز من يستطيع هزيمة خصمه. وهناك من يستخدم الخراف، أو الثيران، أو التيوس للفرض نفسه، فيقابل بين ثورين، أو خروفين أو تيسين للمناطقة أو للمصارعة، والفائز من يتغلب على غريمه. ومثل هذه الألعاب عرفت عند العرب والمسلمين على مر التاريخ، ومارستها كثير من الشعوب قبل ظهور الإسلام، وكتب التراث حفظت لنا شيئاً من تلك الرياضات.

٩. اللميا :

كرة صغيرة من القماش بحجم قبضة اليد، يلعبها فريقان، وفي كل فريق مجموعة من اللاعبين . وتمارس عندما يسعى كل لاعب أن يصيب بها لاعبا من الفريق الآخر، فإذا أصابته يخرج من اللعب، وإن استطاع أن يلتقطها بيده فإنه يحق له أن يرمي بها أي لاعب من الفريق الخصم . ويستمر اللعب حتى يتمكن أحد الفريقين من إخراج أفراد الفريق الآخر. وأحيانا تستخدم اللميا بين فريقين متقابلين، كل يدافع عن مرماه لا تدخله اللميا، وهذه اللعبة قريبة من لعب كرة اليد في وقتنا الحاضر.

١٠. كرة القماش أو الجلد أو البلاستيك :

كرة القماش هي ما عرف بـ (اللميا) الواردة في العنصر السابق، وكانت مستخدمة بشكل واسع خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) لعدم وجود كرة مصنوعة من الجلد أو البلاستيك. ومنذ ثمانينات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) وصل إلى بلدان السروات وتهامة أنواع من الكرات البلاستيكية أو الجلدية المستوردة من أسواق الحجاز وأحيانا من خارج المملكة العربية السعودية . وتستخدم في رياضيات عديدة مثل: لعبة كرة القدم، ولعب كرة الطائرة، أو

(١) كانت هذه اللعبة ممارسة بشكل واسع في القرى والأرياف . وغالباً يمارسها اللاعبون قريباً من منازلهم ومزارعهم، وأحيانا في أماكن تجمعات سكان القرية عند المساجد، والمنشآت الاجتماعية الأخرى .

كرة اليد والسلة . وشاهدت الكثير من هذه الألعاب تمارس في المدارس والمدن والقرى منذ تسعينيات لقرن الهجري الماضي . كما أنشئت أندية وأنشطة عديدة لممارسة هذه الألعاب الرياضية .

١١. دن سكة :

هذه اللعبة يمارسها الفتيان الصغار، ويمارسها كل جنس بشكل منفرد . ومعنى كلمة دن أو (أدن) أي اقترب . ومفردة سكة: نبتة برية لونها أصفر، ورائحتها زكية تثبت في منحدرات السروات الغربية وبعض أجزاء من منطقة تهامة . ويجلس اللاعبون في حلقة دائرية، ويمدون أيديهم إلى الأمام وتكون مقلوبة ويرفعون أصواتهم قائلين (دن سكة) ، ثم يرفعون أيديهم إلى الأعلى، ويبسطونها تارة ويقلبونها أخرى حسب نظام تدريبي متفق عليه، وعلى الجميع أن يمارس هذه اللعبة بشكل موحد في أناشيدهم وحركات أيديهم، ومن يخالف المجموعة في قول أو حركة فإنه يخسر ويخرج من المجموعة . ويستمررون في ممارسة اللعب حتى يخرجوا جميعهم، ويبقى لاعب واحد هو الفائز .

١٢. الذئب عدا عالريعيان، أو حامي شاته :

هاتان اللعبتان عرفتا في أجزاء من السروات الممتدة من الطائف حتى نجران . فالأولى تدور حول لاعب يسمى (الذئب) ، وعدد من اللاعبين يعرفون باسم (الرعيان) ، جمع راع . فالرعيان يكونون داخل دائرة وهم واقفون ومتماسكو الأيدي، ويدورون مرديين (الذئب عدا عالريعيان (على الرعاة) . وعلى اللاعب الذئب أن يقترب منهم ويخطفهم واحداً تلو الآخر، ولا يصح أن يخطف أي لاعب يصيبه برجله أثناء الدوران، وآخر لا عب يبقى في الدائرة ينتقل دوره إلى الذئب، وتعاد اللعبة مرات عديدة .

أما حامي شاته: فلا يقل عدد اللاعبين عن أربعة أفراد، ثم ترسم دائرة على الأرض ويحدد اللاعب الذي يقوم بدور الشاة، واللاعب الذي يقوم بدور الحامي (الراعي) ، وعندما يتم تحديدهما يقفان داخل الدائرة، ويسعى اللاعبون خارج الدائرة للمس الشاة، ويجتهد الحامي (الراعي) منعهم من ذلك، فإذا استطاع أحد اللاعبين مس الشاة فالحامي يقوم بمطاردته، فإذا لحقه ولمسه أصبح اللاعب مهزوماً، أو إذا استطاع الحامي (الراعي) لمس أي لاعب قبل لمسه الشاة فهو مهزوم أيضاً، وعلى اللاعب المهزوم الدخول في الدائرة للقيام بدور الشاة، وتكرر اللعبة عدة مرات .

١٣. كم الخط ياشرقي :

تمارس هذه اللعبة في الأجزاء التهامية، ويقف فيها اللاعبون من الشباب الصغار على خط متساوٍ، ويقف أمامهم لاعب يكتب على الأرض رقماً محدداً، ويحرص أن لا

يراه اللاعبون الآخرون، ثم يسألهم قائلاً : (كم الخط يا شرقي ؟) ويقصد بالشرقي من يقف من اللاعبين جهة الشرق أو جهة اليمن . ويتلقى الإجابات من المشاركين، ثم يسأل من استطاع معرفة الرقم المكتوب على الأرض، قائلاً (عد واركب) ثم يفرون جميعاً ويحاول الشخص الذي عرف الرقم إمساك أي منهم، وإذا أمسك أحد الأشخاص الهاربين، فإن الممسوك يحمل الذي أمسكه إلى مكان كتابة الرقم .

١٤. الرحلة والعزة :

لعبة معروفة في السواحل والسهول التهامية . وفي الرحلة يسير اللاعبون إلى مكان معين، ثم يقفون قفرتين على رجل واحدة . والفائز هو الذي يتمكن من قفزة ذات مدى أبعد وأطول . أما العزة فاللاعبون يقفزون في صف واحد، والواحد إلى جانب الآخر، وفي يد كل واحد منهم خشبة أو عود، ويقفز كل واحد من مكانه، ثم يركز العود الذي معه، ومن كان عوده في مسافة أطول فهو الفائز .

١٥. المصارعة أو المطارحة أو المعاركة :

عرفت هذه اللعبة في عموم السروات وتهامة، وغالباً يمارسها الشباب أو الرجال الأقوياء، الذين يتصارعون أو يتطارحون، ويشرف على مباراتهم حكم، والفائز هو من يستطيع إسقاط خصمه أرضاً. وتختلف عن الملاكمة أو المضاربة التي يقوم كل لاعب بضرب خصمه في الرأس أو الصدر والكتفين .

١٦. الرمحي :

تمارس هذه اللعبة في جازان وبعض الأجزاء التهامية، فيجتمع اللاعبون في دائرة أو مربع أو مستطيل، ويدخل عليهم لاعب وهو يقفز على رجل واحدة ويطاردهم داخل الدائرة أو المربع، ومن يلمسه برجله يخرج من اللعبة . ومن شروط اللعبة أن لا يخرج اللاعبون جميعهم من داخل الدائرة أو المربع أو المستطيل المحدد، ويبقى اللاعب الذي يقوم بمطاردة اللاعبين ممارساً لعبته على رجل واحدة، وإذا نزلت رجله المرفوعة على الأرض بطلت اللعبة .

١٧. النباطة، أو النبالة، أو الخذف :

هذه أسماء متعددة للعبة واحدة عرفها التهاميون والسرويون . وتتكون من غصن شجرة صغير له فرعان، ويربط في طرف كل فرع خيط من المطاط، وفي الطرفين الآخرين للمطاط تربط قطعة صغيرة من القماش أو الجلد، يوضع فيها حصاة صغيرة، ثم يقوم اللاعب بشد خيوط المطاط وقطعة الجلد أو القماش لتتعلق الحصاة إلى هدفها المحدد .

١٨. ألعاب أخرى :

هناك ألعاب أخرى عديدة مثل ممارسة الصيد للرجال والشباب، وعرفت حيل كثيرة لصيد الطيور في أكواخها، والغزلان والوبران وغيرها في مواطنها في الجبال والهضاب . وبعض الأفراد استخدموا الصقور في عملية الصيد . واستخدمت البنادق في صيد بعض الحيوانات المفترسة، أو الطيور والحيوانات الصالحة للأكل . وكان الرجال وأحياناً النساء يمارسون السباحة في الآبار القريبة من قراهم، أو في الغدران والأودية التي فيها تجمعات مياه^(١) .

والناس قديماً يقضون بعض الساعات في السمر داخل البيوت وخارجها، ويمارسون بعض الألعاب التي تحتاج إلى نباهة وأحياناً تفكير وذكاء وسرعة بديهة . ويقال فيها بعض الأسئلة والألغاز، والفائز من يقدر على حلها وفك رموزها . وفي منندياتهم من يروي لهم بعض القصص الشعبية، أو بعض النوادر والطرف والفكاهة^(٢) .

أما الفنون الشعبية فهي مجال واسع عند السرييين والتهاميين . فهم شعوب لهم تاريخ يعود إلى عصور ما قبل الإسلام، وهم أناس لهم صلوات حضارية مع من جاورهم داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، ومن ثم فلهم الكثير من الأشعار، والأهازيج، والأناشيد، والألغاز، والأحاجي^(٣) . كما أن لهم ألعاباً ورقصات موسمية، واجتماعية، وحرية عديدة، ومنها: العرضة، والسيف، والزامل، والسامر، والنزفة، والزيفة، والدلع، والعزوي، والرزفة، والدمه، والقلطة، والمسحباتي، والمدقال، والهمعة، والمرعة، والمثلوث، والجحلي، والمرافع، والهاوند، والدوارة، والريخة، والجبلية، والدانة^(٤) .

(١) شاهدت من كان يمارس هذه الرياضيات خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) في بعض الأجزاء السروية والتهامية.

(٢) عاصرت بعضاً من هذه الألعاب والتراث المعرفي في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يلتقي ببعض المسنين وكبار السن الذين عاصروا مثل ذلك الموروث فيجمع ويوثق ويجري عليه دراسات تحليلية ومقارنة .

(٣) من يدرس الفنون التهامية والسروية يجدها تختلف في أداؤها من مكان لآخر، وتتوسع في أسماؤها، وجذورها التاريخية، فالبعض منها محلية من ابتكارات أهل البلاد، وأخرى جاءت إلى بلادهم من الأمم والشعوب المجاورة. ويواكب جميع فنونهم تراث لغوي وأدبي وفكري، وهذا التراث يستحق أن يدرس في عشرات البحوث . ومن المؤسف أن جامعات الجنوب السعودي لا يوجد فيها أي قسم للفلكور والفنون الشعبية، وهي خالية أيضاً من أقسام علم الاجتماع .

(٤) هذه الفنون لها أعراف وطقوس معروفة لممارستها، ولها جمهور من جميع طبقات المجتمع . وتختلف مسميات هذه الفنون في السروات وتهامة إلا أنها تتشابه في كثير من الممارسة والأداء، وإن وجد اختلاف بسيط بينها . وتستحق أن تدرس جذورها التاريخية وموروثها اللغوي والثقافي، وأثارها على حياة الناس عبر عصور التاريخ . للمزيد انظر: غيثان بن جريس. عسير، (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٠٨ وما بعدها. انظر أيضاً، موسوعة المملكة العربية السعودية (١٤٢٨هـ) (منطقة عسير، ج ١٠)، ص ٢٢٣-٢٣٠. (منطقة جازان، ج ١١)، ص ٣٣٥-٣٤١. (منطقة نجران، ج ١٥)، ص ٢٩٥-٣٠٦. (منطقة الباحة، ج ١٦)، ص ٣١٧-٣٢٨ .